الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم

كلية الادب العربي و الفنون

قسم الدراسات الأدبية و النقدية

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل درجة الماستر

تخصص: دراسات أدبية مقارنة

عنوان المذكرة:

أثر الأدب الفرنسي في الادب الجزائري الحديث
الهضبة المنسية لمولود معمري
نموذجا

إعداد الطالبة:

- مرحوم زهية

الأستاذة المشرف:

- الدكتورة مسعودي فاطمة الزهراء

السنة الجامعية 2016 - 2017

*بسم الله الرحمن الرحيم *

شكر و تقدير

- إلهي لا يطيب الليل إلاّ بشكرك , و لا يطيب النهار إلاّ بطاعتك و لا تطيب اللحظات إلاّ بذكرك , و لا تطيب الآخرة إلاّ بعفوك و تطيب الجنة إلاّ برؤيتك , لك الشكر و الحمد حمدا كثيرا كما ينبغي لجلال وجهك و عظيم سلطانك .

- الشكر اولا و أخيرا لله سبحانه و تعالى على إمدادي بالقوة و العزيمة لإتمام و إنجاز هذا البحث .

- أتقدم بالشكر الجزيل إلى والدي و والدتي، إلى من كللهم الله بالهيبة و الوقار و كانوا حافزا لي على مواصلة دراستي , لذا أطرز من خيوط الشمس اللامعة حروف شكر , و من ماء الذهب عرفانا لحرصهم الدائم بالدعاء لي و تشجيعي .

- كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة القديرة " مسعودي فاطمة " التي لم تبخل علي بتوجهاتها و نصائحها القيمة طيلة إشرافها على هذا العمل كما أتقدم بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين تفضلوا و قبلوا المناقشة .

- كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كافة إخوتي منهم : مراد - منصور - سميرة - عبد القادر - فايزة و صورية .

- كما تتسع دائرة شكري لزملائي و زميلاتي الطلبة دفعة ماستر 2017 .

- و إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاح هذا العمل .

المقدمـــة

- إن قضية التأثر بالآخر المتعلق بالتأثيرات الأدبية أصبحت أمرا لا يمكن الاستغناء عنه و ذلك بفعل غزو الآخر على بلادنا و بيوتنا و الذي يهدف إلى محو شخصياتنا، و كان لبد من الوقوف في وجه هذا النوع من التيار و ما يكون ذلك إلاّ بتكوين أنفسنا و الوثوق بها و لا يكون ذلك أيضا إلاّ بتحقيق الثقة من خلال التمسك بكل مقوماته الشخصية التي جعلتنا نمتلك صوتا متميزا في هذا الكون و هو صوت الإبداع و في هذا المجال تبرز أهمية الدراسات الأدبية المقارنة التي فتحت المجال لمعرفة أهمية التأثير و التأثر من خلال معرفة أن الأدب يؤثر في الآخر و عليه فإن التأثير ليس بالأمر الهيّن إذ أنه يحفز عميقا ليؤثر قي بناء الشخصية من الداخل لينعكس في الأخير على ملوكها و على القيم التي تتبناها، و على اعتبار النصوص الأدبية تحيلنا إلى علاقات تتحدى حدود انتهائها الأدبي مما يعني أن كل نص هو امتصاص و تحويل للنص أو لنصوص أخرى تأثّر بها أو أثر فيها .

- و عليه كان موضوع بحثي المعنون بأثر الأدب الفرنسي في الأدب الجزائري الحديث و الأخذ به في مسار الدراسة الأدبية المقارنة و ذلك بمناقشة بعض نصوصه الأدبية التي فرضت حضورها بشكل أو بآخر على مستوى الكتابة الروائية "كمولود معمري" خاصة على اعتباره نموذجا حيا و ذلك من باب أن التأثير الأجنبي و خاصة الفرنسي هو ممارسة جوهرية في أي عمل يطمح للعالمية و اعتمدت لذلك المنهج التاريخي المقارن وليد المدرسة الفرنسية .

- و من الأساليب التي جعلتنا نختار هذا الموضوع و هي أسباب موضوعية تمثلت في قلة اهتمام الدارسين خصوصا الجزائريين بها المجال سواء كان الأمر متعلقا بالأدب الجزائرية المكتوب بالفرنسية على وجه الخصوص أو على حقل التأثير و التأثر و ذلك نظرا للمساهمة الجزائرية القليلة و المتواضعة في ميدان البحث الادبي .

- أما من الاساليب الذاتية لاختيار الموضوع تمحورت حول الرغبة و حب الاكتشاف في المعالم الأدب الجزائري الذي كتب بالفرنسية و ذلك في سبيل البحث عن الأمور المجهولة بخصوص

ذلك النص الذي حقق الاثر المطلوب بتسليط الضوء على الجانب الروائي "المولود معمري" خاصة أنه يعتبر كعينة حيث من الادب الجزائري المكتوب بالفرنسية في روايته " الهضبة المنسية " التي تعتبر نموذجا يوضح لنا مدى الاثر الفرنسي فيها و مدى تأثر "مولود معمري" بواقع الحياة التي عاشها في تلك الفترة .

- و عليه نطرح السؤال التالي كيف تجلى الاثر الفرنسي في معمري من خلال كتابته الروائية ؟ و كيف تأثر "معمري" بالفرنسية في حياته ؟ و ما هو الاثر الذي تركه الفرنسي في كتابات "مولود معمري" الروائية ؟

- و الاجابة عن هذا التساؤلات المطروحة سابقا قسمت بحيث الى ثلاث فصول و هما مصلان نظريان و فصل تطبيقي بحيث تتوزع هذه الفصول على مباحث عدة يتصدرها مقدمة و المدخل و تنتهي بخاتمة .

- حيث تتمحور المدخل حول نبذة عن البدايات الادب الجزائري المكتوب باللغتين الفرنسية و العربية أما الفصل الاول فتضمنت دراسة الادب الجزائري الحديث بين فكي التأثير و التأثر و دراسته كحقل من حقول الدرس المقارن و بعدها قمنا برصد التأثيرات الجزائرية في الكتاب الفرنسيين مواليد الجزائر بدأ من مرحلة دخول فرنسا الى الجزائر وصولا إلى مدرسة الجزائر و أشهر رواءها التي مثلها الكاتب " ألبير كامو " و انتقلنا بالحديث إلى التأثيرات الفرنسية في الأدباء ذوي اللسان الفرنسي و فيه تحدثنا عن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية في غمار التأشيرات الأجنبية أما الفصل الثاني فخصصناه للحديث عن حياة "مولود معمري" و شخصيته و أعماله الروائية مرورا بأثر و إنتاجه الأدبي و الأنتروبولوجي الذي تضمن عدة عناصر وصولا الى محاضراته الجامعية و نشاطاته الثقافية التي تخص الثقافة الأمازغية .

- أما الفصل الثالث هو فصل تطبيقي تضمن في طياته مضمون رواية الهضبة المنسية إضافة الى رأي النقاد المعارضين و المؤيدين لهذا العمل الروائي .

- و في الاخير توصلنا الى خاتمة جمعنا فيها ابرز النقاط التي تنولها هذا البحث و ضمناها بأهم الاستنتاجات التي توصلنا اليها و وقلتها أخيرا قائمة المصادر و المراجع التي وجدنا فيها ايضا بعض الصعوبات التي تساعدنا على التوسع في البحث .

- و في النهاية لبحثي هذا لا يطوقوني أن اشكر الاستاذة الكريمة التي أشرفت على العمل وساعدني في توجيه عملي من الناحية المعرفية و المنهجية فأرجوا من الله أن اكون قد وفقت في عملي هذا و لو قليلا .

- خطة البحث :

- المقدمة .

- المدخل .

- بدايات الأدب الجزائري الحديث بين اللغتين الغربية و الفرنسية .

- الأدب الجزائري المكتوب بالعربية .

- الأدب العربي المكتوب بالفرنسية (لمحة موجزة عن النشأة و التطور) .

- الأدب العربي المكتوب بالفرنسية .

- الفصل الاول .

- الأدب الجزائري الحديث بين التأثير و التأثر :

* المباحث :

- العلاقات الأدبية و التأثير و التأثر في الدراسات الأدبية المقارنة .

- مفهوم التأثير لغة .

- مفهوم التأثير اصطلاحا .

- مفهوم التأثير من منظورة الدراسات الأدبية المقارنة .

2- التأثيرات الجزائرية في الكتاب الأوربيين مواليد الجزائر :

- الوجود الفرنسي في الجزائر(لمحة موجزة تاريخية) .

- الجزائر في الكتابات الفرنسية .

- رواد مدرسة الجزائر ألبير كامو .

- تأثيرات الطبيعة الجزائرية في أدب ألبير كامو .

3- التأثير الفرنسي في أدباء الجزائر ذوي السان الفرنسي :

* الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية في غمار التأثيرات الأجنبية .

- اللغة الفرنسية كأداة تعبير .

- الفصل الثاني .

1- مظاهر التأثر و عوامل التأثير في حياة مولود معمري .

* مولود معمري بين الحياة و الإبداع .

- حياته .

- دراسته .

- حياته المهنية .

- شخصيته .

- وفاته .

* إنتاجه الأنتروبواوجي .

- في المجال الأدب .

- في المجال اللغوي و الأنتروبولوجي .

* مولود معمري و النضال الأمازغي لبث الهوية .

- محاضرات مولود معمري الجامعية و دراسته الأنتروبولوجية .

2- مظاهر في أدب مولود معمري .

- ثقافة مولود معمري الاجنبية و آراءه الفكرية .

- معمري و إنتاجه للنص الأدبي الفرنسي للغة .

3- عوامل التأثير في حياة و ثقافة و أدب معمري .

- التعليم الفرنسي في المدارس الفرنسية .

- التجنيد الاختياري و الدعوة إلى الاندماج .

- الفصل الثالث :

- مضمون رواية الهضبة المنسية .

- آراء النقاد (المؤديين و المعارضين) .

مدخـــــــــل

- بدايات الأدب الجزائري الحديث بين اللغتين العربية و الفرنسة .

- المباحث :

1- الأدب الجزائري المكتوب بالعربية .

2- الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية (لمحة موجزة / النشأة والتطور) .

3- الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية .

ـ لقد دخل الأدب الجزائري الحديث ميدان المقاومة و الرفض للاستعمار و كان الشاهد ضده و ضد ما يسببه من تمييز عنصري و فقر و تشريد و إجرام دامٍ فأنتج الأدباء الجزائريون أدبًا جزائريًا ثوريًا يحمل في بذوره الرفض التام للاستعمار و التحرر من قيوده فقد نظموا الشعر و كتبوا القصة و ألفوا المسرحية رغم الحصار ، و إن تحدثنا عن الأدب الجزائري الحديث بأشكاله و موضوعاته المختلفة نجد أكثر إنتاج الجزائر الأدبي في تلك الحقبة الزمنية كان في ميدان الشعر لأسباب عدة أهمها أنه الأنسب لشحذ الهمم و يسهل نظم رتبه في روح الشعب الجزائري و انتقاله بكل سرية على عكس القصة و الرواية اللتان لا يمكن كتابتهما بطريقة أدبية و تلقائية لأنهما تحتاجان إلى بعض الوقت للكتابة والقراءة ، فلذا كان الشعر قولا و دراسة بوصفه الفن العريق في الأدب العربي منذ القديم فالنثر لا يتمتع بهذه المكانة في نفوس الناس خاصة في الماضي فلذلك فإن الباحثين الجزائريين أهملوا هذا التراث العريق في الأدب الجزائري . (1)

1- الأدب الجزائري المكتوب باللغة العربية :

ـ لقد ظلّ الأدب الجزائري المكتوب باللغة العربية منذ دخول الاستعمار إلى نهاية الحرب العالمية الأولى حسب رأي الدكتور "أبو القاسم سعد الله" أدبًا تقليديًا تسيطر عليه النزعة الدينية ، فموضوعاته متكررة و لغته بسيطة ، و ينحدر تاريخ هذه المرحلة بظهور مجموعة من الصحف مثل : "الفاروق" أو "المنقذ" التي بدأ كتّاب حركة الإصلاح ينشرون فيها أشعارهم و مقالاتهم و نذكر منهم "عاشورالخنقي" ، "عبد الرحمن الديسي" ، "الطيب العقبي السعيد" و "الزاهري الهادي السنوسي" . (2)

1- عبد الله الركيبي – تطور النثر الجزائري الحديث 1830 م / 1974 م . د ط – الدار العربية للكتاب – ليبيا ، تونس 1978 . ص 05

2- أبو القاسم سعد الله – دراسات في الأدب الجزائري الحديث . ط 2 – دار الأدب – بيروت ، يناير 1977 م . ص 20

الأدبية و تطورها بسرعة ، فاختلفت مؤثراتها (الوطني - الشرفي - العربي) و تباينت تياراتها (التيار التقليدي - الرومانتيكي - الواقعي) . [1]

- لقد بدأ هذا الأدب يخطو خطوات نحو الأمام منذ سنوات 1934 م و ما بعدها فتطور النثر والذين طوروا فنون النثر هم كتاب من الشباب كانوا على دراية بالثقافة و اللغة الأجنبية من هؤلاء "رضا حوحو ، مخفي بن عيسى" و غيرهم و قد انصب اهتمامهم على المضمون دون الشكل و تحرر أسلوبهم و أصبح واضحًا مباشرًا بعيدًا عن الغموض ثم بدأت مرحلة جديدة عرفت كتاباته أصالة و عمق و فيها ظهرت بذور القصة القصيرة على شكل مقال قصصي إصلاحي ممثله كل من "ابن باديس" و "البشير الإبراهيمي" و "الطيب العقبي" [2] وكان مجرد صورة بدائية للقصة ذلك أن العناصر الفنية فيه غير منضبطة بقواعد هذا الفن تمامًا كطول الزمن فيه و تنوع عنصر البيئة و حشد الأفكار الكثيرة ، فكانت القصة بهذه الصفات مجرد ثوب ارتدته الأفكار الإصلاحية و ظهر المقال القصصي ليلعب دورًا تعليميًا في مجال الدين و اللغة و إصلاح المجتمع فدعا إلى تعليم المرأة ومشاركتها في المجتمع و انتقد كثيرًا العادات و التقاليد البالية المتزمتة التي تعرقل تطور المجتمع كما تعرض للقضايا السياسية و عالج مشاكل الاستعمار و مخلفاته ، ثم تطور على شكل صورة قصصية غير ناضجة فنيًا و كانت أول صورة قصصية ظهرت خلال المرحلة الأولى هي صورة "عائشة" التي تصدرت مواد كتاب (الإسلام في حاجة إلى دعاية و تبشير) للكاتب "محمد سعيد الزاهري" و قد قامت الصورة القصصية بدور واضح لملء الفراغ الذي شعر به الأدباء آنذاك في ميدان القصة كما انها عالجت موضوعات الساعة التي شغلت أذهان النـاس

---

[1]- عبد المالك مرتاض - فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931 م / 1954 م . د ط - الشركة الوطنية للنشر و التوزيع - الجزائر . ص 162 - 163

[2]- عبد الله الركيبي - القصة الجزائرية القصيرة - دراسة ط 3 - الدار العربية للكتاب - ليبيا ، تونس 1977 م . ص 64

و هي تعبر عن واقع لا أثر للفن فيه . [1]

- فهي سرد ينتهي بخاتمة تتضمن وعظًا مباشرًا و تقليديًا يمكن اعتبارها نواة بدائية للقصة القصيرة . [2]

2- الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية (النشأة و التطور) :

-عوامل ظهور هذا الأدب "لمحة موجزة" :

- عرف الوضع عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى بعض الانفراج و وقع ما يشبه نوعًا من التقارب الحذر بين الطرفين حيث حاول كل طرف الانفتاح على الآخر و ساعد ذلك على الانفراج الدولي التي أعقبت الحرب في تقرير مصيرها كما ساعدت على تجسيد هذا الانفراج إجراءات سياسية و إدارية اتخذتها الحكومة الفرنسية خففت من حدّة التوتر و هيأت الأجواء الناسبة لمثل ذلك الانفتاح و تمثلت فيما أصبح يعرف بقوانين 04 فيفري 1919 م التي لغت السلطات الاستعمارية بموجبها معظم مواد قوانين الأندجينا العنصري الذي كان يحكم الجزائريين بقبضة من حديد و كانت الحكومة الفرنسية ترمي من وراء قيامها بتلك الاجراءات المساعدة على الانفراج إلى رد بعض الجميل لما يرجو عن ثلاثة و سبعين و مائة ألف جندي جزائري كانوا قد شاركوا في الحرب العالمية الاولى تحت العلم الفرنسي ، و قتل و جرح منهم الآلاف كما كانت أيضا لغة اعتراف و تقدير منها لجهود العمال الجزائريين الذين كانوا يقيمون على التراب الفرنسي وضبوا استمرار ألاف المصـانع

---

[1]- أنيسة تركات -دار أدب النضال في الجزائر من سنة 1945 م حتى الاستقلال - ب ط - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر 1984 م . ص 178

2- أنيسة تركات ، المرجع نفسه .

الفرنسة طوال الحرب ، معوضين في ذلك مئات الآلاف من زملائهم من العمال الفرنسيين الذين جندوا في الحرب .[1]

3- الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية :

- إن الأدب الجزائري في هذه الفترة يكاد يكون مكتوبًا بالفرنسية لا بالعربية ، نعم بلغة فرنسية عالية لا تقل في رتبتها و صياغتها عن لغة أكبر كتاب فرنسا المعاصرين ، و مرّد هذا الشذوذ إلى الأوضاع التي خلفها الاستعمار الفرنسي في تلك البلاد التي فوجئت به و لم تعد له العدة و استكملت مؤهلاتها العلمية فقد عمل الاستعمار عند احتلال الجزائر على القضاء على اللغة العربية و إحلال اللغة الفرنسية مكانها تمهيدًا لعملية الامتصاص و دمج الشعب الجزائري في الأكثرية الفرنسية و ربط مقدوراته بفرنسا مباشرة .[2]

- و تعلقًا بما سبق نقول أن الأدب الجزائري الحديث الفرنسي اللغة في هذه الفترة ما بين الحربين العالميتين قد تميز بين غيره من الآداب في واقعيته و قوميته و شدة ارتباطه بالأرض الجزائرية التي يعيش عليها شعب يريد الاحتفاظ على الرغم من سياسة التجهيل الافقار المادي و الفكري بمقوماته النفسية و تخيرته الروحية و طابعه الأصيل فلم ينسى أدباء الجزائر في عالمهم الثقافي الرفيع و لغتهم المستعارة الحقيقة المؤلمة التي يعيش فيها أبناء قومهم بل عملوا براعة تحت ستار الفن الروائي و القصصي على تثبيت صورة الجزائر في أذهان الفرنسيين و من يجيد الفرنسية من بني قومهم ففي هذا الأدب مرارة و ألم قلّما يرتفعان إلى حد المطالبة الصريحة بالإصلاح و العدالة أو يهبطان إلى التضرع

1- أحمد منور - كتاب أزمة الهوية في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية ، دراسة أدبية - دار الساحل للكتاب - تعاونية 17 أكتوبر 61 عيسى مصطفى الرغاية الجزائر . ص 88 - ص 89

2- محمد مصايف - النثر الجزائري الحديث - د ط المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر 1985 م . ص 06

و الشكوى، بل بقي هذا الأدب ضمن التعبير الهادئ الجميل يحلله الشعور بالكرامة و الايمان بالحق و عدالة القضية و يسوده الإباء و الترفع . (1)

- و هكذا كان مضمون الإنتاج الجزائري بتعابيره المختلفة وطنيًا في أغلبيته فهو إنتاج مضاد للاستعمار في الجملة و يمتاز بالنضالية و الواقعية و قد التجأ إلى المثالية العالمية . (2)

- و إذا جئنا لنتحدث عن فنونه النثرية نجد أن القصة المكتوبة بالفرنسية قد تعذر إنتاجها قبل الاستقلال و لم يتجاوز عددها الستين قصة و قد عالجت في بدايتها موضوعات اجتماعية مثلها كل من "مالك واري" في قصصه (لقاء الربيع و الحصاد و الجبال) و "حمزة ببكر" بقصته "اعترافات مسلم القرن الحالي" ، و بعد الخمسينيات بدأت تهتم بالوضع السياسي و مثلها كل من "محمد ديب" بمجموعته القصصية "في المقهى" و "مولود معمري" في قصته "الحمار الوحشي" الذي عالج فيها قضية صدام الحضارات في الحرب العالمية الثانية و قد أظهرت القصة القصيرة المكتوبة باللغة الفرنسية بعض التفوق عن نظيرتها العربية إلاّ أنّها لم تخصص لجانب الحرب النصيب الأوفى . (3)

- أما فيما يخص الرواية المكتوبة فقد كانت موضوعات هذه الروايات تدور حول واقع البلاد و ما تتخبط فيه من مناقضات و ما تعيشه من عزلة و حرمان غير أن النثر في تلك الفترة رغم واقعيته إلاّ أنه لم يعالج الموضوعات المادية الصميمة كالفقر و التعليم و الحرية و الهجرة التي عانى الشعب منها كثيرًا في ظل الاحتلال و قد مرت خلال تطورها الفني بمرحلتين :

---

[1]- إبراهيم الكيلاني – أدباء من الجزائر - د ط - دار المعارف القاهرة - مصر ديسمبر 1958 م . ص 14

[2]- أبو القاسم سعد الله - أفكار جامحة - د ط - المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1988 م . ص 42

[3]- عايدة أديب داعية - تطور الأدب القصصي الجزائري (1925 م - 1967 م) تر : د - محمد صقر . د ط - ديوان الموضوعات الجامعية - الجزائر 1982 . ص 49

* مرحلة الخطاب الاندماجي ورواياته بمحاكاة الغرب أدبيًا و ترديد أطروحاته الاندماجية سياسيًا ، و مثلها كل من "حاج حمو عبد القادر" بروايته (زهرة روجة المنجمي) و "محمد ولد الشيخ" بروايته (مريم بنت النخيل) ، وهي تعتبر روايات الزواج بفرنسا أو البحث عنه أو التساؤل عنه إذ ليست نصوص ذلك نوعية أدبية عظيمة على الرغم مما فيها من تشويق و دسائس ساذجة و مركبة بحس فلكلوري .

* أما المرحلة الثانية فهي مرحلة الوعي القومي السياسي و الوطني التي اهتمت بتصوير ظلم الفرنسيين و ارهابهم للوطنيين و تصوير الفقر و البؤس و الألم الذي عاش فيه الجزائريون في ظل الاستعمار . (1)

- و قد مثلتها رواية (الدار الكبيرة) للكاتب "محمد ديب" و (القضية المنسية) للكاتب "ميلود معمري" و روايتي (ابن الفقير) و (الأرض و الدم) للكاتب "ميلود فرعون" و كذا روايات "مالك حداد" و "آسيا جبار" إضافة إلى رواية (نجمة) للكاتب "كاتب ياسين" التي قبلت البنية الجمالية للرواية في الجزائر و في المغرب العربي أجمع باعتمادها أسلوب الرواية الأمريكية الجديدة . (2)

- أما فيما يخص المسرح المكتوب بالفرنسية فقد رفع لواءه "كاتب ياسين" بكل جدارة و استحقاق ، وبلغ معه مستوى عـالمي ينم عن ثقـافة فرنسية عـالية لو تقف حـائلاً بينه و بين إبراز الروح الجزائرية العربية ، روح شعب يتمسك بمقوماته الروحية و طابعه الأصيل و كل مسرحيـاته بدأ بمسرحيـة (الأسـلاف يتميزون غضبـًا) ثم مسرحيـة (الجنة المحـاصرة)

---

[1]- أمين الزاوي – صورة المثقف في الرواية المغاربية (المفهوم و الممارسة) – دار النشر راجعي – الجزائر 2009 ص 90

[2]- أمين الزاوي ، المرجع نفسه . ص 92

وصولاً إلى مسرحية (المرأة المتوحشة) ، و كلها تدور حول نفس الموضوع و هو الجزائر التي تبحث عن نفسها من خلال نضال رهيب . [1]

- الأدب الجزائري يتسم بروح فنية عالية و بنزعة جديدة نحو التطور و الثورة على المعتقدات البالية سواء في القصة أو الرواية او المسرح ، بزعامة "الطاهر وطار" برواياته (الزلزال ، الشمعة و الدهاليز) بالنسبة للأدب الجزائري المكتوب بالعربية ، و بزعامة "رشيد بوجدرة" برواياته (التطليق ، تيميمون ، يوميات امرأة ، أرق ، ألف عام و عام من الحنين) بالنسبة للأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية . [2]

- و عليه نقول ان الادب الجزائري قد شمله تجدد كيفي بشقيه المكتوب بالعربية و المكتوب بالفرنسية، فالقصة الجزائرية و المسرح الجزائري لو يكن تطورهما تطورًا تدريجيًا و بطيئًا.

- وضع الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية في الوقت الراهن :

- يعتبر الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية أحد التناقضات الكبيرة التي أفرزها الاحتلال الفرنسي للجزائر و نعتبره من تناقضات الاستعمار على أساس أنه شكّل في وقت من الأوقات ظاهرة ثقافية مناهضة لإيديولوجية الاستعمار حيث استعمل الكتّاب لغة المحتل لمقاومة الاحتلال و هذه الظاهرة أو هذا التناقض كما أسميناه لم يقتصر كما هو معروف على الجزائر فقط وحدها فقد وجدت بنسبة متفاوتة مع ظاهرة الاستعمار في العديد من بلدان افريقيا على وجه الخصوص و في آسيا أيضًا حيث يوجد اليوم أدب افريقي و آسيوي كتب من طرف أفارقة و آسيويين باللغات الانجليزية و الفرنسية و الاسبانية و البرتغالية ، أي

1- حلفي بن عيسى – الرواية الجزائرية المعاصرة – مجلة الثقافة السنة الثانية العدد 8 ، 9 جويلية 1972 – الجزائر ص 62

2- حلفي بن عيسى ، المرجع نفسه .

بلغات الدول الاستعمارية التقليدية التي بدأت هجماتها على القارتين في القرن السادس عشر ميلادي بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء و تشكل هوية الأدب الافريقي و الآسيوي المكتوب باللغات الأوربية و منه الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية ، إحدى القضايا المختلف عليها اختلافًا شديدًا على الصعيد النظري في مجال الأدب المقارن ، فقد عدّه البعض أدبًا أوربيًا باعتبار اللغة التي كتب بها و اعتبره آخرون أدبًا قوميًا أو افريقيًا باعتبار "الروح" التي كتب بها و الحقائق المحلية التي عبر عنها ، و قد ذهب فريق آخر إلى القول بأنه أدب بلا هوية لا تصح نسبته إلى البلد الذي ينتمي إليه الكاتب لأن ذلك الأدب غريب عنه لغةً و قراءة . [1]

- كما لا تصح نسبته الى البلد الذي ينتمي إليه لغة الكتابة لأنه غريبا عنه وواقعا بانتماء و لا يربطه به أي رابط سوى رابطة اللغة كتبها . [2]

- و واضح أن أصحاب الرأي الأول لا يلتقون في وجهة النظر مع مقومات مدرسة الأدب المقارن الفرنسية التي لا ترسم الحدود القومية للآداب بالحدود السياسية و لكن بالحدود اللغوية .

- و بالاستثناء إلى مقومات هذه المدرسة يكون أي أدب يكتب باللغة الفرنسية مثل الألمانية و الانجليزية أدبًا فرنسيًا و ألمـانيًا و انجليزيًا وهكذا و بجرة قلم تلغي هذه المدرسة آداب أمم و شعوب برمتها مثل الأدب النمساوي و الأسترالي و الكوبي و الأمريكي و البرازيلي لأن هذه الشعوب تتحدث لغة تنسب لشعوبها وأمم اخرى ، ناهيك بالأدب الهندي والنيجيري أو المارتينيك مثلا المكتوب بالإنجليزية أو الفرنسية أما أصحاب الرأي الثاني فواضح أنهم ينطلقون من المضامين القومية التي عبر عنهـا ذلك الأدب و يتلقون إلى حد بعيد مع المدرسة

1- الأنترنيت : منتدى ستار تايمز (أدباء و شعراء و مطبوعات) ، الساعة 04:19 يوم 22 مارس 2017 .

2- الانترنت ، المرجع نفسه .

الأمريكية ، إذ أن ذلك الأدب حتى و إن كان أوروبي اللغة فإنه يعبر في معظمه بصدق عن واقع الشعوب الافريقية . [1]

- و يستلهم ثقافة تلك الشعوب و يصور تقاليدها الضاربة في عمق التاريخ وقد تجاوز جزء منه حدود تصوير الواقع إلى تغيير ذلك الواقع، و التعبير ذلك الواقع ، و التعبير عن الأمم و أمال الشعوب الأسيوية و الافريقية التي كانت تزرع تحت الاستعمار الأوروبي في حين أن أصحاب الرأي الثالث الذين ينفون عن هذا الأدب هويته فيسندون بدورهم إلى حقائق لا يمكن تجاهلها أو نكرانها . [2]

- فهذا الأدب لا يمتلك من صفة (الأوروبية) سوى وسيلة التعبير . فهل يكفي أن نعتبره أوروبيا ؟. صحيح أن استعمال لغة معينة من طرف شخص يجعله خاضعا ، شاء أو أبي إلى منطق تلك اللغة و لكن لا يمنعه أبدا من نقل مشاعره الخاصة وأذكاره الخاصة أما من حيث صفته (الافريقية أو الآسيوية) ، فلو سلمنا أنه يعبر حقا و بصدق عن حقائق بلد إفريقي ما كالسنغال مثلا و السؤال يمكن أن يطرح بالنسبة بالجزائر مع فرق هام هو أن الفرنسية لغة رسمية في الجزائر مع فرق هام هو أن الفرنسية لغة رسمية في الجزائر ، كما أن الجزائر لا تنتمي للمنطقة الفرنسية في حين خرج الفرنسيون من الجزائر و خلفوا ورائهم ما يقارب 90% الاميين في صفوف الشعب الجزائري و حسب ما يذكر "عبد الله المازوني" في كتابه الثقافة و التعليم في الجزائر و المغرب [3] فإنه في نهاية الستينات لم يتبقى هناك من يحسن الفرنسية من الجزائريين أكثر من9, 8 % رغم الجهود الكبيرة التي وجهتها الدولة الجزائرية

1- الانترنت: منتدى ستار تايمز(ادباء و شعراء و مطبوعات) ، ساعة 04:19 يوم 22 مارس 2017 .

2- الانترنت ، المرجع نفسه .

3- الانترنت ، المرجع نفسه .

للتعليم منذ الاستقلال ، والذي كانت فيه اللغة الفرنسية هي اللغة الأولى في جميع مراحل التعليم . [1]

- على أية حال ،نحن من جهتنا و إن اختلفنا في مسألة إن كان الأدب المكتوب بالفرنسية أدبًا قوميًا أو لا ، فإننا لا نختلف في كونه جزائريًا ، لا سيما أنه ارتبط في مرحلة من مراحل تاريخنا كما ألمحنا من قبل بالمقاومة الوطنية و الكفاح المسلح وهذا جانب مهم جدا ليس من السهل التفريط فيه تماشيا مع مقومات نظرية في الأدب المقارن لا تخلو في نهاية الأمر من خلفيات قومية و دوافع غير علمية و يصدق هذا القول على المدرسة الفرنسية و الأمريكية على سواء . [2]

- لقد أعطى هذا الأدب الجزائري لأول مرة فرصة التعبير عن ذاته كإنسان ينتمي إلى أرض و شعب له كيان و له قيم و تقاليد و هموم و أمال وهو الشيء الذي ظل الأدب المكتوب من طرف الأوربيين السياح أو المقيمين على السواء يتجاهلونه و يصرون على نفيه ، و قد ارتقى هذا الأدب ليتجول بحق خلال سنوات الثورة المسلحة إلى أدب معرفة مع الشقاء في الخطر و مع المطوقة و من يذكر بحر إلى آخر تلك الأعمال التي نقلت ملحمة الثورة و مع هذا قلت من قبل ليس من السهل أن ننساق وراء مقومات النظرية و تجريد الاشياء من سياقها التاريخي و الموضوعي لكن تمسكنا بالسياق التاريخي و الموضوعية يحتم علينا أن نرجع قليلا إلى الوراء ليحث في الأصول الأولى لهذا الأدب كيف ظهر ومن هم كتابة وما هي مميزاته؟ وهل كان كله يسير في خط متناقض لأيديولوجية الاستعمار. [3]

1- الانترنت: منتدى ستار تايمز(ادباء و شعراء و مطبوعات) ، ساعة 04:19 يوم 22 مارس 2017 .

2- الانترنت ، المرجع نفسه .

3- الانترنت ، المرجع نفسه .

- مع الأسف الشديد إن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسة الذي سبق سنة 1950 ، كان

الأولى سنة 1920 من أولائك الذين كانوا يطلقون على أنفسهم إسم المتطورين les Evoluées من أمثال "عبد القادر" ، "حاج حمو" و "رابح زناني" و "محمد ولد الشيخ" إلخ ... و كانوا يؤمنون بالجزائر الفرنسية و يتحمسون لفكرة الاندماج ، وفي هذا الاطار كانوا هم تمرة المدرسة الفرنسية ،و صفوة من ابناء الأعيان ممن نجحت فرنسا في اقناعهم برسالة فرنسا(الحضارية) في الجزائر و لذلك كانت عنايتهم صادرة من قناعة كاملة ، تلك الافكار تعتبر في نظرية رواية Mary dans les palmes نموذجا من الياناصيب .

- تلك الأفكار في قالب أدبي :

- وتتلخص فكرتها في تطبيق دعوة الاندماج بين الجزائريين و الفرنسيين عن طريق الزواج المختلط حتى يتخذ شكل تقارب لا شكل صراع بين الأمتين و هكذا بعد مغامرات كثيرة و حبكة شديدة التعقيد تتزوج (مريام) ابنة الضابط الفرنسي (ديسي) بأحمد، و يتزوج اخوها (جان) بزهرة علما أن زهرة و مريام و جان هما ثمرة زواج الضابط الفرنسي المشار اليه الفنا بخديجة الجزائرية منبئا و انتماء و يلفت الانتماء للقارئ في التمهيد الذي كتبه المؤلف لروايته حول التاريخ القريب لناقلاته المعروفة في التاريخ ، تلك التعابير التي يستعملها المؤلف في كلامه عن سكان البلاد من جهة و عن الفرنسيين من جهة ثانية فيصف أحد زعماء الثوار (بالمغامر) و يعتبر سكان القصور بمقاومتهم للاحتلال الفرنسي " قد خانوا القضية الفرنسية ، لم يحدث عنهم بعد الاحتلال فيقول ان العمال و التجار القصورين كانوا يعيشون سعداء كانوا يعيشون سعداء في كيف فرنسا العظمى " . [1]

1- الانترنت: منتدى ستار تايمز(ادباء و شعراء و مطبوعات) ، ساعة 04:19 يوم 22 مارس 2017 .

عن هؤلاء الكتاب الذين ذكرنا اسماء بعضهم يحدثنا جون ديفو قائلا : إن روائي و شعراء هذه الفترة كانوا يتوجهون ، باللغة الفرنسية الى فرنسا ليقولون بعض الحقائق المرة كما سيفعل المناضلون في صحف الاحزاب الوطنية و لكن ليحوزوا رضاها و ضيفا قائلا " في هذا السياق لم تكن الاعمال الادبية تكتسي اسلوبا سطحيا مطموس العالم اذ كان هم المؤلف أن يقدم للقارئ الفرنسي عملا يعتقد انه كامل و خال من الاخطاء النحوية من أجل أن يعترف كفرنسي كامل الشروط .

- و نشير أن بعض هؤلاء الكتاب قد شاركوا في الاحتفال بالذكرى السنوية لاحتلال الجزائر و ألقوا خطبًا بالمناسبة أشادوا فيها بفضل فرنسا على الجزائريين و بفوزها (الحضاري) في الجزائر .

- قد جاء الادب الجزائري المكتوب بالفرنسية ليشكل كما يتجلى في اعمال محمد ديب و مالك حداد و كاتب ياسين بوجه خاص الاطروحة المناقشة لإيديولوجية الاستعمار التي طالما روج لها في مجال الادب مرافقة للاستعمار امثال "لويس بتران" و "روبير راندو" الاول خلافة افريقيا اللاتينية التي راح يبحث عنها في النوائب الرومانسية في الجزائر و الثاني في خرافة الفرنسي الجديد le méo français الذي وصف له معادلة كيمائية عجيبة تتشكل عناصرها من اختلاط الدم الفرنسي بالإسباني و المالطي و اخيرا البربري و قد جسد "ميزان" (musette) او" أوغست روبيسي" و هو اسمه الحقيقي ذلك الخليط العجيب في شخصيته كافايو cagayous القوي جسما ، المحب للنساء ، المشاكس العنصري الدليما غوجي الخ... و الذي يتميز عن الفرنسي الأصيل حتى في لغته حيث تستعمل لغة مغايرة هي خليط من الفرنسية و الاسبانية و المالطية و العربية le sobire. [1]

1- الانترنت: منتدى ستار تايمز(ادباء و شعراء و مطبوعات) ، ساعة 04:19 يوم 22 مارس 2017 .

- لقد جاء الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية ، مناقضا لهذا الادب الاستعماري المليء بالغلطات و الأحكام المسبقة و العنصرية المقننة ليحمل هموم الانسان الجزائري فئاته لاسيما الفئات الشعبية الفقيرة ، سواء تلك تعيش في المدن كسكان "دار السبيطار " و عمار النسيج في رواية "دار الكبيرة" و مهنة الحياكة او تلك التي تعيش في الأرياف كما هو الحال في الحريق او ابن الفقير او الربوة المنسية .

- و لم يكونوا في آخر الامر يلقون ترحيبا لا من الجزائريين و لا من الفرنسيين و قد اشتكى بعضهم بمرارة من هذا (الجهود) و من السخرية التي كانوا يقابلون بها احيانا . [1]

- و على العموم ، فقد مر الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية بعدة مراحل كان أولها و أطولها هي تلك الممتدة من 1920 إلى 1950 وهي المرحلة التي يسميها (جان ديفو) مرحلة التقليد و المثاقفة ، أعقبتها مرحلة أخرى قصيرة هي مرحلة من 1950 إلى 1955 وهي المرحلة التي ظهرت فيها أعمال "محمد ديب" الأولى و "مولود فرعون" و "مولود معمري" و يطلق علها (شارل بون) مرحلة الرواية الاثنوجرافية و تتميز بكونها مرحلة التحلل و محاولة اثبات الذات ازاء الاخر اي ازاء المستعمر ثم جاءت مرحلة الادب المقاوم خلال سنوات الثورة مع اعمال مالك حداد و كاتب ياسين و اخيرا مرحلة ما بعد الاستقلال و ظهرت انها اعمال اخرى تنتمي للأدب المقاوم او الثوري لمحمد ديب و مولود معمري و ياسين و غيرهم لكن سرعان ما عرف الادب الجزائري [2] المكتوب بالفرنسية تحولات كبيرة ، كان لها إحكامها المباشر عن الانتاج الأدبي من حيث الكم و النوع و الافكار و هنا سوف نلتمس و نذكر بعض التحولات في شكل ملاحظات :

1- الانترنت : منتدى ستار تايمز (ادباء و شعراء و مطبوعات) ، ساعة 04:19 يوم 22 مارس 2017 .

2- الانترنت ، المرجع نفسه .

* توقف كاتب ياسين بدوره في الكتابة بالفرنسية و تفرغ عليا للمسرح ودعا للكتابة بالعربية الدراجة و في هذا الموقف واضح و صريح من مسألة الكتابة بالفرنسية و العربية الفصحى على سواء.

* توقف مالك عن الكتابة و اعتبر أن دور الادب مكتوب بالفرنسية قد انتهى و كتب في احدى مقالاته في جريدة النصر سنة 1947 قائلا كما كان على بعض فناني السينما الصامتة ان يختفوا و أن يتركوا أما كنتم لممثلي السينما الناطقة فان على الكتاب الجزائيين الذين يكتبون باللغة العربية و ان يقتنعوا بترجمة أعمالهم (الى اللغة العربية) فيبلدهم و اظن في هذا القول رأيا صريحا واضحا بشأن لمستقبل الادب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية في الجزائر . [1]

* مست مولود معمري هو الاخر ، بحيث لم ينشر سوى عمليتين أو ثلاثة على الأكثر منذ الاستقلال و انصرف لدراسة و تدريس اللغة البربرية و الظاهر أنه يقترب من موقفه كثيرا من موقف ياسين الرافض للكتابة الفرنسية و العربية معا .

* اغتيل مولود فرعون 1945 على يد المنظمة السرية المسلحة OAS و غاب عن الساحة الادبية منذ ذلك التاريخ .

* اختار محمد ديب العيش بعيدا عن الوطن ، و ابتعد عن واقع الجزائر فانعكس ذلك في ادبه فمال الى التجريد و الرمزية ، و اصبح ادبه ذا طابع انساني عام بربطه بالجزائر خيط دقيق .

* ظهرت أسماء جديدة و أفلام عديدة تكتب باللغة الفرنسية بعد الاستقلال و بعضها يتمتع بمواهب أدبية معتبرة و لكنها رغم ذلك لم تستطع أن تملأ الفراغ الذي تركه الكتاب

1- الانترنت : منتدى ستار تايمز (ادباء و شعراء و مطبوعات) ، ساعة 04:19 يوم 22 مارس 2017 .

المذكورون الفا و لا ترتفع الى مستواهم باستثناء رشيد بو جذره الذي فرض نفسه على الساحة الفرنسية نفسية و تجاوزها الى البلدان الاخرى.

* تقول بوجدره بما له من تأثير كبير بفضل المكانة الأدبية التي احرزها داخل الجزائر و خارجها الى الكتابة باللغة العربية وهذا موقف آخر جد واضح من الكتابة باللغة الفرنسية ومن مستقبل الادب بهذه اللغة في الجزائر . [1]

* عرف الأدب الجزائري المكتوب باللغة العربية تطورا كبيرا سواء من حيث الكم أو النوع و دخل مجال الرواية من بابها الواسع لاسيما بأعمال بن هدوقة و وطار ، ولكن أيضا أعمال جيل السبعينات ايضا كواسيني الاعراج و بقطاش مرزاق و خلاص الجيلالي و اعتبرهم و اقتصر على العوامل الادبية و اشير الى غيرها من العوامل و التحولات الاخرى و خاصة عملية التعريب التي قطعت اشواطا كبيرة في مجال التعليم و شملت جميع المراحل من الابتدائي الى الجامعي .

- إن كل هذه النقاط الهامة و الحساسة في نفس الوقت هي التي دفعتني الى اثارة هذا الموضوع و انه حقا كموضوع حيوي و جدير بالمناقشة و ابداء الرأي. [2]

1- الانترنت : منتدى ستار تايمز (ادباء و شعراء و مطبوعات) ، ساعة 04:19 يوم 22 مارس 2017 .

2- الانترنت : المرجع نفسه .

الفصل الأول

- الأدب الجزائري الحديث بين التأثير و التأثر .

- المباحث :

1- العلاقات الأدبية و التأثير و التأثر في الدراسات الأدبية المقارنة .

2- تأثير الجزائر في الكتاب الأوربيين مواليد الجزائر .

3- التأثير الفرنسي في أدباء الجزائر ذوي اللسان الفرنسي .

1- العلاقات الأدبية و التأثير و التأثر في الدراسات الأدبية المقارنة :

- يقول الناقد "هاري ليفن" : { يمكن تشبيه دارس الأدب الذي يقوم بالمقارنة بعازف كمان يأنف استعمال القوس ، و هو لذلك يقصر أداءه على سلسلة من النقرات على الاوتار }، هذا يعني الأدب المقارن الذي يقوم على المقارنة إذا لم يكن منهجًا نقديًا فهو يرفد النقد بواحدة من أدوات العملية النقدية أو رسائلها خاصة حين يبنى النقد في تعامله مع العمل الإبداعي سر أغوار النص و الكشف عن عملية الخلق النصي و تحقيق أفضل تلقي لما ينطوي عليه موضوعًا و فنًا ، والحقيقة نحن لسنا بحاجة ماسة هنا إلى إثبات أهمية الأدب المقارن و ضرورة المقارنة خاصة و قد مضى ما يقارب القرنين على معرفة هذا الفرع الأدبي أو المعرفي حين أخذ "فيلمان" منذ عام 1827 م يستعمله في محا ضرته الرائعة في السوربون و قد سماه مجازًا (السرقات الأدبية التي تتبادلها كل الدول) . (1)

- و تعلقا بواحد من الموضوعات نعني (التأثير و التأثر) نجد من خلال بعض تعريفات الأدب المقارن أنه عند المقارنين يكاد يقوم على العملية التأثرية أيًا كانت مرجعيات هؤلاء المقارنين فلا بأس هنا من التعرض لبعض هذه التعريفات التي تعكس بالطبع مفاهيم أصحابها و مرجعياتهم عن هذا العلم أو الفرع المعرفي "ففان ثبغم" يرى الأدب المقارن (دراسة أثار الآداب المختلفة من ناحية علاقاتها ببعضها البعض) ، ويقول "غويار" علم الأدب المقارن هو عبارة عن تاريخ العلاقات الأدبية العالمية و ينتعش الأدب المقارن عند الحدود القومية فيقتضي أثر عمليات تبادل المواضيع و الأذكار و الكتب أو الاحاسيس بين أديبين من الادباء ، و إذ لا يكاد يختلف "غوار" مع "تيغيم" في نظرته إلى الادب المقارن استثناء انه ربما كان توضيحًا ، فإن "جوزيف شبلي" يعرفه تعريفًا عـامًا يبتعد بعض الشيء

---

[1]- نجم عبد الله كاظم - الرواية العربية المعاصرة و الأخرى دراسات أدبية مقارنة - ط الاولى 2009 م - حكومة الشارقة دائرة الثقافة و الإعلام . ص 9 / 10

عن تحديد هذا العلم بحدود دقيقة إذ يقول هو : { دراسة العلاقات المتبادلة ما بين أدباء شعوب مختلفة } ، بينما يأتي تعريف "بشوار"و "روسو" له أكثر شمولية و إن لم يخرجا به عن جوهر ما عناه "تيغم" و "غويار" ، إذ يقولان : { الأدب المقارن هو فن تقريب الأدب من ميادين التعبير و المعرفة الأخرى بطريقة منهجية عن طريق البحث عن روابط التشابه و القرابة و التأثير ، أو تقريب الوقائع و النصوص الأدبية فيما بينها متباعدة أولاً في الزمان و المكان بشرط أن تنتمي إلى عدة لغات أو عدة ثقافات ، و أن تؤلف جزءًا من تقاليد واحدة وذلك من أجل و صفها و تذوقها بطريقة أفضل . [1]

- و إذا كان البحث في (التأثير و التأثر) ينطلق غالبًا من البحث في (التأثير) تحديدًا ، فإن هذا يقودنا لإلى ان نتساءل على الأقل نقديًا و بحثيًا و مع كل ما قد يبدو عليه هذا المصطلح أو المفهوم من وضوح ، أما (التأثر) و تبعًا للوضوح العام للمصطلح فإن "مجدي وهبة" يتجاوز الشرح الاعتيادي في كلامه عن دلالة التأثير إلى ما يعنيه عمليًا تعلقًا بالأدب و الآداب و الأدباء و النصوص الادبية فيقول : { أما كلمة (تأثير) فهي كلمة تدل علا علاقة مباشرة و تدل على أن نصًا معينًا لم يكتب ما لم يكن صاحبه قد اطلع قبل كتابته على نص غيره ، و من الصعب جدًا اثبات مثل هذه العلاقة التي تنطوي على سببية واضحة المعالم } أما وضع اليد على التأثر او التأثير و التأثر فهو يحتاج بالطبع إلى معرفة طبيعة هذه العملية و عالمها إن صح التعبير و حدودها و معرفة هذا العالم أو هذه الحدود ربما ترشدنا إليه أو إليها معرفة عناصر عملية (التأثير و التأثر) و التي يعبر عنها الدكتور "داود سلوم" تحت مصطلح (الانتقال) الذي اتخذه عنوانًا لفصل في أحد كتبه بالقول : { لا شك أن دراسة الأدب المقارن لابد ان تخضع لأحد مناهجه التي تتناول دراسة الموضوعات أو النماذج أو الافكار

[1]- نجم عبد الله كاظم - الرواية العربية المعاصرة و الأخرى دراسات أدبية مقارنة - ط الاولى 2009 م - حكومة الشارقة دائرة الثقافة و الإعلام . ص 9 / 10

و التيارات و كل هذه المناهج لابد لها ان تعتمد ثلاثة حدود و هي "المرسل " من الأدب (المؤثر) ، وقد يكون كتابًا أو تيارًا أو نوعًا او كاتبًا أو فكرة ، ويقصد بذلك الأدب (المتأثر) او الاديب او الكتاب او التيار الذي وقع عليه التأثير ، ثم "الوسيط" و هو الذي قام بذلك العمل ، أي قام بالنقل من أمة إلى امة و من أدب إلى أدب ، وقد يكون المترجم أو مدرسة فكرية أو جماعة مستوطنة أو ما شابه و للسفر و الدوريات الأدبية أثر في ذلك النقل أيضًا } .[1]

- و من الواضح أن البحث في التأثير و التأثر يتعلق بكل هذه العناصر كونها تشمل الجهة المؤثرة ، والجهة المتأثرة و نوعية الأثر و الوسائط التي تنتقل الآثار عبرها أو بواسطتها من المؤثر إلى المتأثر و الوسائط التي تنتقل الآثار عبرها إلى المتأثر و مع صعوبة الفصل كليًا في أثناء إجراء مثل هذا البحث ما بين العناصر فإنه عادة ما يبدأ عمليًا في الجانب المتأثر و تحديدًا في النصوص المفترض أو المتوقع أن تكون قد تأثرت بغيرها.[2] ، و أخيرًا إذا كانت الدراسات المقارنة تقوم في الغالب على التأثير و التأثر ، وكان التأثير و التأثر بين الآداب القومية المختلفة كما رأينا أمرًا طبيعيًا تبعًا لطبيعة العلاقات ما بين البشر و ضمنهم فئة الأدباء فإن من الطبيعي أن نظهر نتائج التأثير و التأثر في نتاجات هذه الفئة من البشر ، نعني في كل مناحي ميدان الأدب و إذا ما تجاوزنا بعض من تعدى بالأدب المقارنحدود الأدب كما رأينا عند "ريماك" و أعلام المدرسة الأمريكية مثل ، فإن ميدان الأدب المقارن الذي لا خلاف عليه هو الأدب أما فروعه أو فروع الدراسة الأدبية المقارنة .[3]

1- نجم عبد الله كاظم - الرواية العربية المعاصرة و الأخرى دراسات أدبية مقارنة - ط الاولى 2009 م - حكومة الشارقة دائرة الثقافة و الإعلام . ص 9 / 10

2- نجم عبد الله كاظم ، المرجع نفسه . ص 11

3 - نجم عبد الله كاظم ، المرجع نفسه . ص 12

- التأثير و التأثر من منظور الدراسات الأدبية المقارنة :

- إن مبدأ الأخذ و العطاء قامت دراسات التأثير و التأثر بين الآداب حيث شرع دارسو الأدب في مقارنة الآداب ببعضها البعض على أساس هذا المحور ، و قد تعدد أوجه التأثير و التأثر نتيجة لتعدد وجهات النظر ، وكان أحد تلك الاوجه تأثير شعب في شعب آخر أو تأثر شعب بشعب آخر ، و ظهور صورة الشعب المؤثر في أدب الشعر المتأثر نتيجة لتلك العملية و تبادل التأثير و التأثر بعد مجال تنافس و حيوية و اقوى ضمان لتقدم الأدب الوطني و القومي ، وها هو الفيلسوف "دالمبير" (1717 م / 1783 م) و هو عصر التمهيد للثورة الفرنسية ، يقول : { على كل الأمم المستنيرة أن تعطي و تأخذ هذه حقيقة جد جوهرية لتقدم الآداب بحيث لا يصح ان ينساها أو يهون من شأنها أولائك الذين يمارسون الأدب } .

- قبل الحديث عن أثر الفرنسي في الرواية الجزائرية عمومًا و في روايات "مولود معمري" خصوصًا لابد من الحديث عن مبدأ التأثير و التأثر بصفة عامة و وضعه في إطاره ضمن الدراسات الأدبية . [1]

- مصطلحات التأثير الأدبي :

* التأثير مفهومه لغة : لن نتطرق بإسهاب في بحثنا هذا إلى المفهوم اللغوي للفظة (الأثر و لفظة التأثير) لأننا حسبنا في غنى عن ذلك ، غير أننا سنلمح إليه قليلاً ، إذ لا ننكر أننا بحثنا عن هذا المفهوم في بطون بعض المعاجم اللغوية في مقدمتها معجم (لسان العرب) "لابن منظور" إذ جاء فيه أن الأثر بقية الشيء ، و الأثر بالتحريك ما بقي من رسم الشيء و التأثير ابقاء الأثر في الشيء و أثّر في الشيء ترك فيه اثرًا .

[1]- محمد غنيمى هلال - دور الادب المقارن في توجيه دراسات الادب العربي المعاصر - د ط - نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع - د ت القاهرة مصر . ص 32

- هكذا فإن كلا اللفظتين تحيلنا إلى معنى واحد فالأثر بقية الشيء ، و الخروج في إثره أي بعده ، بمعنى ان الأثر يقع بعد الفعل ، و التأثير في الشيء إبقاء الأثر و تركه فيه للدلالة عن الوجود ، و منه التأثير في النص أي ما استدل به على الأخذ ، و الافادة التي تعد مرجعًا من مرجعياته و رافدًا من روافد تشكيله التفكير بمعانيه و التأثير بمعانيه اللغوية الواسعة يحيلنا على وجود أثر يظهر حاليًا إلاّ إذا تعقبناه و بذلك نكون قد سرنا في سبيلـه و في سبيل الكشف عن أثر يؤكد وجود التأثير بغض النظر عن وضوحه من عدمه او قوته من عدمها . (1)

* المفهوم الاصطلاحي :

- التأثير و التأثر حقل من حقول الأدب المقارن و من خلال الدراسات التي قمنا بها وجدنا أن بعض تعريفات (الأدب المقارن) عند المقارنين تكاد تقوم على العملية التأثيرية ، أيًا كانت مرجعيات هؤلاء المقارنين لا بأس أن نتعرض لبعض التعريفات التي تعكس مفاهيم أصحابها و مرجعياتهم عن هذا العلم أو الفرع المعرفي و من الطبيعي أن تتعدد تعريفات أو محاولات تعريف اي مفهوم أو حقل او فرع معرفي او جنس أدبي ما دام لا ينتمي إلى العلوم التطبيقية ذلك ان مثل هذه المعارف و المفاهيم و العلوم غير معنية بالماديات تتمرد عادة على التعريف إذ يرى "تيغم" (2) أن الادب المقارن هو دراسة أثار الآداب المختلفة من ناحية علاقاتها ببعضها البعض اما "فرنسواغويار" فيقول موسعًا المفهوم بحكم التطور الذي شهده (الأدب المقارن) خلال الزمن فالأدب المقارن هو تاريخ العلائق الأدبية الدولية فالبحث المقارن يقف بين أدبين أو عدة آداب أو عبارة عن تاريخ العلاقات الأدبية العالمية و ينتعش الأدب المقـارن عند الحدود القوميـة فينتهي أثر عمليـات تبـادل المواضيع و الأذكـار و الكتب

1- ابن منظور - لسان العرب - مجلد 1 ط 1 - دار صادر للطباعة و النشر - بيروت لبنان 2005 م . ص 52

2- بول فان تيغم - الادب المقارن. تر : مامي مصباح الحسامي ، دوط ، منشورات المكتبة العصرية سيدا بيروت لبنان د ت . ص 24

أو الأحاسيس بين أدبين أو عدة آداب . (1)

- أما عن شيخ المقارنين العرب "محمد غنيمي هلال" فيجمع في تعريفه التلاقي و العلاقات و التاثير و التأثر ن فيقول عن هذا الادب أنه يدرس مواطن التلاقي بين الآداب في لغتها المختلفة و صلاتها الكثيرة المعقدة في حاضرهااو في ماضيها ، وما لهذه الصلات التاريخية من تاثير او تاثر أيًا كانت مظاهر ذلك التاثير أو التاثر سواء تعلقت بالأصول الفنية العامة للأجناس و المذاهب الأدبية أو التيارات الفكرية أو اتصلت بطبيعة الموضوعات و المواقف و الأشخاص التي تعالج أو تحاكي في الأدب أو كانت تمس مسائل الصياغة الفنية و الأفكار الجزئية في العمل الأدبي . (2)

- و هكذا تعددت مفاهيم الأدب المقارن و اختلفت على التوفيق فيما بين التعاريف السابقة هو ذلك القائل : الادب المقارن هو الفن المنهجي الذي يبحث عن علاقات التماثل و القرابة و التأثير و تقريب الأدب من الأشكال المعرفية و التعبيرية الأخرى أو تقريب الأعمال و النصوص الأدبية من بعضها البعض بعيدة كانت في الزمن أو في الفضاء شرط أن تنتسب إلى لغات متعددة أو ثقافات مختلفة .

- حدد هذا التعريف إذن مجالات البحث في الأدب المقارن و المتمثلة في العلاقات بين الآداب على اختلافها اللغوي و الثقافي سواء ما تعلق منها بالتشابه أو التأثير .

- و إذ لا نزيد كل هذه التعريفات لذاتها فإننا يمكن ان نلحظ بسهولة أن مركزيتها تقريبًا جميعًا، وكما هو شان غالبية التعريفات الاخرى إنما تتمحور حول الصلات و التأثير و التأثر

1- بول فان تيغم – الادب المقارن. تر : مامي مصباح الحسامي ، د ط ، منشورات المكتبة العصرية سيدا بيروت لبنان د ت . ص 25

2- محمد غنيمى هلال - الأدب المقارن – ط 9 - نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع - القاهرة أكتوبر 2008. ص 13

فإن الدراسات المقارنة تقوم أساسًا على العلاقات و الصلات بين الآداب القومية المختلفة و على ما بنشأتها من تأثيرات و تأثرات .[1]

* مفهوم التأثير في منظور الدراسات الأدبية المقارنة :

- إذا كان البحث في التأثير و التأثر يقود غالبا في البحث في التأثر أو إنطلاقا منه فإن هذا يقودنا إلى ان نتساءل على الأقل نقديًا و بحثيًا ، و مع كل ما قد يبدو عليه هذا المصطلح أو المفهوم من وضوح .

- ماذا نعني بالتأثير و التأثر ؟ .

- للوصول إلى المعنى الاصطلاحي لابد أن ننظر لظاهرة التأثير و التأثر ككل ، فمن الطبيعي أن يكون وجود الظاهرة سابقًا على دراستها و قد يستمر ذلك الوجود زمنًا طويلاً قبل أن تتهيأ الفرصة اللالتفات إليها و محاولة الإلتفاف حولها ، حيث لا يتم مثلاً : تشخيص ظاهرة مرضية قبل ظهورها فمن هذه الزاوية فإن ظاهرة تأثر الآداب فيما بينها ظاهرة قديمة تستوي في ذلك الآداب القديمة و الحديثة الشرقية و الغربية .[2]

- و بالعودة إلى المصطلح ، نجد أن التأثير أروج مصطلحات الادب المقارن شيوعًا ، و عادة تلمح مصادر الادب المقارن في عدم الخلط بينه و بين الشهرة و النجاح أو الحظ أو التقليد دون أن تقدم شيئًا واضحًا يساعد على التمييز بين هذه المصطلحات .[3]

1- محمد غنيمى هلال - الأدب المقارن – ط 9 - نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع - القاهرة أكتوبر 2008. ص 13

2- بول فان تيغم – الادب المقارن. تر : مامي مصباح الحسامي ، دوط ، منشورات المكتبة العصرية سيدا بيروت لبنان د ت - ص 24 . ص 25

3- محمد زكي العشماوي – دراسات في النقد المسرحي و الادب المقارن د ط النهضة العربية للطباعة و النشر – بيروت لبنان - 1983 . ص 13

- يمكن القول هنا أن له أكثر من مفهوم فلا يوجد مفهوم حير الدارسين في الادب المقارن و النقاد مثل مفهوم التأثير و هناك خلاف واسع بين دارسي الأدب المقارن حول معنى هذا الاصطلاح و استخدامه بل جدوى دراسات التأثير ذاتها مما نتج عنه تطرف كبير في المواقف النقدية يتراوح بين الرفض التام لفكرة "التأثير" إلى قبول ما يسمى بدراسات التوازي و يصل الأمر إلى درجة أن كبار علماء الأدب المقارن يخلطون بين دراسات "التأثير" و دراسات "الاستقبال" ، تلك الدراسات التي تعني استقبال العمل الأدبي و دراسته خارج حدود لغته القومية . [1]

- فنرى "تيغم" مثلاً : و هو أحد كبار المنظرين للأدب المقارن بل رائدهم يقول { بأنه في التطبيق نجد أن دراسة التأثير لكاتب ما في بلد أجنبي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بدراسة استقبال أعمال الكاتب و تذوقها في ذلك البلد الأجنبي حتى انه يصبح من المستحيل في أغلب الاحوال الفصل بين أديبين ، أمّا "غويار" فيتفق مع "تيغم" في النظر إلى التأثير بوصفه واحدًا من عدة ظواهر أدبية مثل أثر الدراما الشكسبيرية على الرومانسيين الفرنسيين . [2]

- و من هنا نستنتج من أن مفهوم التأثير إن دل على شيء فهو يدل على الأهمية القصوى لهذا الميدان من ميادين البحث في الأدب المقارن و الحقيقة أن الأدب المقارن عندما نشأ كفرع من فروع التاريخ الأدبي يتناول العلاقات المتبادلة بين أكثر من أدب قومي ، فكان التأثير أحد المفاهيم الرئيسية في هذا الميدان الجديد من ميادين الدراسات الأدبية . [3]

1- أحمد درويش – نظرية الادب المقارن و تحليلاتها في الأدب العربي – د ط غريب للطباعة و النشر و التوزيع – القاهرة مصر – 2002 . ص 18

2- بول فان تيغم – الادب المقارن. تر : مامي مصباح الحسامي ، دوط ، منشورات المكتبة العصرية سيدا بيروت لبنان د ت . ص 20

3- بول فان تيغم ، المرجع نفسه .

2- التأثير الجزائري في بعض الكتاب الأوروبيين مواليد الجزائر :

- بعد دراسة كيفية تأثير شعب في شعب و تأثير اديب في بلد او العكس و اثر هذا متطرق إلى أثر الجزائر في نفوس و إنكار الكتاب الأوروبيين بصفة عامة و الفرنسيين بصفة خاصة سوآءا كانوا من مواليد الجزائر و مستوطنيها نستهلها بلمحة عن الوجود الفرنسي في الجزائر لكي تنير لنا الكثير من الزوايا للدراسة لكي تتخللها أراء الفرنسيين حول الجزائر أرضا و شعبا و ثورة و كيفية ثأرهم بها و تأثير الجزائر في أدبهم .

1/2- وجود فرنسا في الجزائر و دخولها :

- في 30 جانفي 1830 قررت الحكومة الفرنسية التي كانت تحت رئاسة "دي بولينيك" أن تبعث حملة ضد الجزائر و قد برزت هذه الحركة بعدة أسباب منها الانتقام من الجزائر التي أهان الداي حاكمها ، الشرف الفرنسي حين ضرب القنصل الفرنسي بالمروحة أمام الجمهور الدبلوماسي و منها وقف القرصنة و تخليص أوروبا من مصدر القلق و الاضطراب و لكي تقوم فرنسا حجتها بصفة نافذة و مؤثرة عمدت على التركيز على السبب الاول بالنسبة الى الرأي العام الأوروبي . (1)

- وهكذا دخلت فرنسا الى الجزائر محققة كل أطماعها ، أهمها الحصول على أراضي المعمرين وهكذا دخلت فرنسا للجزائر بالقوة و استعملت سياسة التفقير و التجويع و كردود المعمرين من فرنسا ثم قبول فرنسا لخليط من الأوروبيين من إيطاليا و إسبان و مالتين و أصبحوا مستعمرين في الجزائر لكي يصبح الفرنسي معمل لابد من إحرازه على أرض زراعية و يكون ذلك بالإغتصاب و الشراء بأثمان زهيدة و استعمال الحيل كإغراق أصحاب الأراضي الأصليين في الديون و عمليات الرهن و نتيجة لإفلاسهم في الخمر و معاشرة

1- أبو قاسم سعد الله - الفرقة الوطنية الجزائرية - ط 1 دار الآداب . ص 12

الفرنسيات و اليهوديات و كان هذا بمساعدة من طرف السلطات الاستعمارية .[1]

2/2- الجزائر في الكتابات الفرنسية :

- إن الفرنسيين لم يكتشفوا الجزائر سنة 1830 فقد كتبوا عنها قبل ذلك و كانت بينها و بينهم معاهدات و تبادل أسرى و جوسسة و رحلات و كانت علاقات في معظمها من جانب واحد فالفرنسيون هم الذين كانوا يكتبون فالجزائريون فلا يكاد يتركون اثر لرحلاتهم فالكتابات عن فرنسا تكاد تكون معدومة قبل 1830 بينما كنايات الفرنسيين عن الجزائر متوفرة و هي كنايات تمثل عنها صورة غامضة و مشوهة فهي مستوحاة من معاداة الغرب للشرق و التعصب الديني و التوفق المادي. [2]

- ومنذ الحملة انفسح المجال امام الكتاب و الفنانين و المؤرخين الفرنسيين ليكتبوا عن الجزائر و لكن من وجهة نظر الغالب عن المغلوب و قد انكشف السر في الجزائر الذي كان يحير الفرنسيين و الاوروبيين عامة بعد سقوط الدولة و انتهاك حرمة البيوت و الاطلاع على العادات و التقاليد و نمط العيش و المعاملات بشتى انواعها و بذلك اصبحت الجزائر موضوع للكتابة و الاثارة و البحث ، فتأثير طبيعة الجزائر و سحرها على كتابة الفرنسيين لم يكن بالأمر الهين في نظرهم فالحقيقة كانت ان المفاجئة كانت متبادلة بين الفرنسيين و الجزائريين فلم يكن هؤلاء يتوقعون أن يحتل الفرنسيين بلادهم ان يكتشفوا اسرار حياتهم كما ان الفرنسيين فوجئوا بانتصارهم السهل على الجزائريين ومن حق الفرنسيين ان يتحدثوا عندئذ عن نشوة الإنتصار و انكشاف الإسرار إذن كانت غالبية المثقفين الفرنسيين الذين

1- أبو قاسم سعد الله - الفرقة الوطنية الجزائرية - ط 1 دار الآداب . ص 13

2- أبو القاسم سعد الله – تاريخ الجزائر الثقافي – ج 6 (1830 – 1954) ط1 دار الغرب الاسلامي – بيروت 1998 . ص 379

جاءوا الى الجزائر و ولدوا فيها ينتمون الى الحركة الرومنتيكية الأدبية التي ينشد اصحابها عوالم غريبة عن طريق الاحلام لذلك عالجت كتاباتهم صورة الجزائر و صبغتها و اثرها فيهم و مدى علاقاتهم بالواقع الجزائري فظهرت كتب الإنطباعات و نفي بذلك الكتب التي تتناول السكان و أنماط حياتهم و ملابسهم و عاداتهم و أخلاقهم و تناقضات الطبيعية في نظر الكتاب و فتنة السماء و البحر .

- و قد راجت بعد ذلك الكتب التي تشرح للسواح طريقة الحياة في الجزائر و الطقس و وسائل النقل و الإقامة و قد عرفت بكتب الدليل فقد كان الفرنسيين و الأوروبيين في زيارتهم للجزائر لا يغادرون دون حملها في يدهم و قد زارها كبار الكتاب و الأدباء أمثال "أندريه جيد andre gide" و "توفيل غوتييه theophile gautier " و "ألفونس دوديه alphonse doudet" و غيرهم و منهم من اتخذ الجزائر مقاما لهم و منهم من زارها لمكانها الساحر و منهم من جاءها للفضول الأدبي و الفني كما تواجدت موضوعات أخرى شغلت هؤلاء الكتاب منها المرأة و العادات فتحدثوا عن وضع المرأة الاجتماعي في خلقها و لباسها و أعمالها و أوقات فراغها واهتموا بها اسموه بالحياة الريفية حيث ألف "بوجبن دوماس" كتابا كاملا عن المرأة العربية كما وصف عادات البربر في الجبال و اشتغال المرأة و الأعرف السائدة و التطور الاجتماعي و سجلوا انطباعهم الحضري و البدوي و اهتم الكتاب بالأعياد الإسلامية و المواسم كشهر رمضان و زيارة القبور. [1]

- فقط أصبح هناك شعراء فرنسيون مواليد الجزائر و لهم دواوين و نقاد اهتموا بهم أما الرواية أو القصة أو ما يشبهها فقد سجل الدارسون حوالي 200 رواية و قصة نشرت في المجالات و الجزائر كانت ميدانا فسيحًا للروائيين و لم يستغلوه أحسن استغلال، و إلى هناك

1- أبو القاسم سعد الله – تاريخ الجزائر الثقافي – ج 6 (1830 – 1954) ط1 دار الغرب الاسلامي – بيروت 1998 . ص 383-384

نأتي إلى القول أن هذه الكتب الفرنسية سواء الأدبية مثل (شعر ، قصة ،مسرحية) أو تاريخية التي عالجت موضوع الجزائر بكل حيثياته قد تناست الشعب الجزائري الذي كان مغيبًا في الكتابات الفرنسية .

- إذا كانت فئة الأدباء الأوروبيين مواليد الجزائر متعلقة بالأرض فقط و هكذا لم يرتبط هؤلاء الأدباء الأوروبيين بوطن الجزائر ، و إنما كان ارتباطهم بفرنسا، و كان تعلقهم بالأرض الجميلة الدافئة بالدولة الجزائرية المستقلة ، الوطن الجزائر في الوضع المعالم و المقومات و لذلك محاولة التفريق بين الأديب الجزائري الذي هو ثمرة التاريخ الواضح و الآخر الذي هو ثمرة الجغرافيا و مع ذلك فقد تناول هؤلاء الكتاب مواضيع جزائرية أبدوا من خلالها اهتمامًا أصيلاً بمشاكل الجزائريين فقد تحدثوا عنها و اقترحوا الحلول المناسبة لكنهم غيبوا فيها مرارة الألم و الإخلاص الذي عاشوه . (2)

- و لنتعرف أكثر على مدى تأثير هؤلاء الأدباء الأوروبيين مواليد الجزائر بالجزائر أرضا و شعبا و ثورة سنقدم لمحة موجزة عن كاتب كان بمثلهم جميعا و هو الأديب "ألبير كامو" و لأن القائمة تطول لذكرهم فقد اختصرنا الحديث عن هذا الأديب .

* ألبير كامو albertcomus :

- ولد هذا الأديب في "ميندوفيmondovi" في منطقة عنابة ، سنة 1913 و كان أبوه مستوطنا عمل في الزراعة و قتل في مطلع حرب 1914 و أمه من اصل إسباني كانت تعمل خادمة لتعيل والديها ، درس الفلسفة و عند إصابته بمرض السل توقف عن متابعة دروسه ، أصبح رئيس تحرير جريدة (جمهورية الجزائر) التي أسسها الجزائريون متحرون توقفت الجريدة عن الصدور سنة 1939 و خلفتها جريدة

2- علي مصايف - فصول النقد الادبي الجزائري الحديث .

(المسـاء الجهوي le soir republicain) بعدما تركها "كامو" بعد التحرير في الجزائر و انتقل الى باريس تم الى ليون في فرنسا سنة 1940 ثم عاد الى وهران 1941، واختاروا وضيفة التعليم و عندما عاودته عوارض المرض رجع الى باريس مع اسرته و التحق بدا جاليمار للنشر حيث بقي هناك حتى وفاته بحادث مرور عام 1460 . (1)

* و من مؤلفاته لأبرز الأعمال هي :

الغريب / l'étranger 1942 - الطـاعون / la peste 1947 - الصيف/ l'été 1954 حوليات actuelles 1958 - الهبوط la chute 1960 .

3/2- تأثير الطبيعة الجزائرية في أدب "كاموا" :

- إن تأثير الطبيعة الجزائرية قد طفى على فكر "كامو" و ادبه بصورة واضحة لا تحتاج الى بيان فهي صورة اختصرت كل متحذلق ناكر لها ، إذا طفى سلطان الطبيعة الجزائرية و سحرها على البير كامو و اتخذ من قلبه موقفا مكينا جعله لا يتوانى عن الاذعان له و ذكره في كل موطن من مواطن كتابا له حتى في كتاباته الروائية لم تخل من افتنانه بسحر الجزائر ارض البحر و الشمس فهو كغيره من الكتاب الاوروبيين سوآءا مواليد الجزائر و مستوطنيها ، وقد جعل الجزائر كأرضه و اساس لروايته الغريب و الطاعون فالأولى تدور أحداثها في الجزائر و الثانية منطقها كان بوجهات فقد جعل جل ما ترويه الرواية في تفنن جميل في وصفها الطبيعة بكل مالها و الى هنا نجد ان البير كامو تأثرت تأثرا منقطع النظير بالطبيعة الجزائرية الساحرة حيث يشير بعض الدارسين ان تأثير الطبيعة الجزائرية في أدب كامو و فلسفته ليس جيدا في الأدب الفرنسي . (2)

1- نور سليمان - دار الادب الجزائري - في رحاب الرقص و التحرير . ص 287

2- أحمد طاليا الإبراهيمي - كامو" في نظر جزائري . ص 9

- و هكذا تعرض كامو في كتاباته الى الكثير من المظاهر الطبيعية الجزائرية المختلفة طبيعة و صحراء، بحرا و سماء و اشراقا و ضياءا ... و الدارس لمؤلفاته يكتشف العديد من التطبيقات و الاشارات الطبيعية المختلفة التي ادى كامو الى ان ينوه بها دائما حين اتيحت له الفرصة الى ذلك كما وصف المدن الجزائرية و عمرانها خاصة مدينة الجزائر و هي اكثر المدن تأثير في حياة كامو بأحيائها الشعبية و سكانها الذين تعلق بهم و قد جاء كامو و صف تلك المدن ، و قد افتتن ايضا بالصحراء الجزائرية الذي كان بها الوافر في كتاباته هي الاخرى فهو لم يتوانى في وصف سكان الصحراء مازالوا في قصته محافظين على عاداتهم و تقاليدهم بعيدين عن المستعمر و حضارته . (1)

- و نستخلص من كل ما سبق ان كامو مقرها الطبيعة الجزائرية الى ابعد الحدود و إن كان تعلقه بهذه الطبيعة هو الذي ولد فيه حب الحياة كان لابد ان تنعكس على أعماله الأدبية و الفكرية على السواء و إذ أنه من الكتاب الفرنسيين المعجبين بالطبيعة الجزائرية فإن نظرته إليها تبدو هنا أكثر عمقًا و رمزية إلى الخيال المفرط و الميل إلى استخدام أسلوب الكتابة الذي قليل ما يحسن توظيفه في أوصافهم و لعلّ هذا يعد تأثيرا للبيئة الجزائرية العربية على "كامو" .

- أما من ناحية تأثير المجتمع الجزائري في "كامو" يتضح أنه يعد في طليعة الكتاب الفرنسيين تأثر بالمجتمع الجزائري و قد برز ذلك جليًا في أعماله المختلفة .

3- التأثير الفرنسي في أدباء الجزائر ذوي اللسان الفرنسي :

1/3- الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية في غمار التأثيرات الأجنبية :

- ولد الأدب الجزائري في خصم معركة التحرير و تطور بسرعة في غمار اتصالات وفيرة

1- توازن عبد القادر – الجزائر في أدب "ألبير كامو" . ص 157

الأدب الفرنسي الأكثر تطورا و أي دارس للأدب يمكنه أن يغفل أهمية ذلك التأثير أو مداه على التطور ذلك الأدب . (1)

- و يتكامل التطور عبر الصالات المختلفة التي نتيجتها الظروف التاريخية و الموضوعية المحيطة بكل أدب ، فيعتبر الأدب الجزائري مثالاً رائعًا على قوة و مدى انتشار أفكار الاشتراكية ففي تلك الظروف تلعب العلاقات الأدبية الدولية القائمة بين الآداب العالمية دورا فعالا عميقا في مرحلة تكوين الأمة و خلق أدابها القومي . (2)

- إذن ولد الأدب الجزائري و تطور في شكل قصة و شعر و مسرح و مقالة ، ولم يكتب الأدباء الجزائريون ذلك الأدب بالفرنسية لانهم فقط قد تعلموا بالمدرسة الفرنسية أو اتصلوا بالأدب الفرنسي بل إنهم عاشوا حقيقة الشعب الجزائري ، و أرادوا التعبير عن ذلك الواقع و محاولين بذلك بعث التقاليد و القيم و المحافظة على كيان الأمة و وحدتها ، ولقد عاشوا حياة الشعب الجزائري القاسية في ظل الاستغلال الاستعماري لقد خنق و أنهك الشعب الجزائري ، لذلك إنه أدب وطني لا يعرف إلاّ بتاريخ ذلك الشعب .

- فقد انفتح ذلك الأدب على جميع الصلات الزاخرة القومية مع الادب الفرنسي التقدمي تلك الموضوعات التي تتجاوب و متطلبات تطوره و تعبيره و بما أن الأدب الجزائري الوليد قد اتصل اتصالات وثيقا بالأدب الفرنسي ولأن ذلك الانفصال لم يكن في ظروفه الطبيعية فإن تأثيره قد اتخذ بشكل فريد لم يتخذه اتصال الآداب القومية العربية الأخرى بذلك الأدب

(1) حفناوي بعلي ، أثر الادب الامريكي في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية ص113

(2) جورج جوايو ،ادب اللسان الفرنسي لشال افريقيا : ابو القاسم سعد الله مجلة الرواية ، العدد الاول جانفي 1990ص115،114

الفرنسي نفسه ، وفي نفس تلك الفترة التاريخية فقد عاشت الجزائر ظروفا استثنائية حاولت فيها فرنسا إنزال الستار على ماضي تراث الشعب الجزائري و فرضت ثقافتها و أدبها ولغتها فرضا على الشعب، كما أن الخبرة الثورية التي وجدها الكتاب الجزائريون في تقاليد الأدب الفرنسي قد أمدتهم بإلهام جديد و إذ كانت فيهم روح الثورة بل أن موقف الأدب التقدمي الفرنسي نفسه من المشكلة الجزائرية ، و الذي ساعد في صراعه ضد النظريات الرجعية في الأدب .[1]

- إن الجزائر تملك أدبا يمكن تسميته أدبًا متطورًا بلغ ذروة عالية من التطور و لكنه اتخذه له أداة تعبير أخرى هي اللغة الفرنسية وقد تطرق ذلك الأدب إلى الكثير من الأجناس الأدبية المختلفة ذات قيمة فنية عالية ، وقد جاءت الرواية و هي أكثر الأجناس الأدبية تطورًا في الأدب الجزائري الحديث المكتوب بالفرنسية لتعطي صورة واضحة لبطولة و تضحيات شعب ناضل من أجل استقلاله و حريته .

- فهذا يعني أن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية ، أدب اتخذه له أداة تعبير لغة العدو توجه بذلك ضد العدو ، و أصبح سلاحا من أسلحة المعركة في سبيل التحرر من ذلك العدو كما أن الظروف الخاصة التي فرضتها فرنسا بمحاربتها اللغة العربية و بفرضها اللغة الفرنسية و الثقافة الفرنسية قد دفعت بالجزائريين لدراسة تلك اللغة و الاعتراف من مناط تلك الثقافة و التأثر بمذاهبها مما ساعدهم على إغناء تقاليدهم وتراثهم و خلق أدب إنساني يقف في مصاف الآداب العالمية، مما جعل توقفهم عن الكتابة المستلهمة للثقافة العالمية و لروائع الأدب سيكون حسرة للأدب الجزائري بصورة عامة .[2]

1- حفناوي بعلي - المرجع نفسه . ص 113

2- سعاد محمد خضر - الادب الجزائري المعاصر . ص 128

- و من هنا نستطيع القول بأن الأدب الجزائري قد اتخذ اللغة الفرنسية أداة التعبير له و قد ساهمت هذه اللغة في إغناء ثقافة الجزائري الذي تأثرها و بأساليبها و مذاهبها و فنياتها العالمية و في الوقت نفسه فقد زادت غربته و تمزقه الحضاري و الاجتماعي و بسبب الظروف التي عاشتها الجزائر في فترة الاستعمار الفرنسي من انتشار الأمية و اقتصار التعليم باللغة الفرنسية مما ساعد على ظهور هذه الظاهرة الخاصة في الجزائر و بأدب المستعمرات من وجود كتاب يكتبون بلغة العدو و قد صور أولائك الكتاب الصراع الفكري الذي كان يدور في الجزائر بين إيديولوجية تبحث عن تحقيق ذاتية المجتمع الجزائري من خلال بعث الماضي و من إيدولوجية مفتوحة على المستقبل و على كل من ما يظهر الجديد و تحت تأثير التحولات السياسية و الاجتماعية التي يعيشها المجتمع الفرنسي بظروفه التاريخية الخاصة ، في غمرة كل ذلك تطورت تقاليد الواقعية الاشتراكية في الأدب الفرنسي و إذا كان صراع الثقافيين في الأدب الجزائري المتأثر به و خلقت لنا أدبا انفتح على تلك التأثيرات الزاخرة مع الأدب الفرنسي ، و استمد موضوعاته ونظرياته الاستاتيكية و مواقفه الفلسفية من معركة الشعب الجزائري في سبيل الحرية والاستقلال [1] و بالعدة الى الأدب الجزائري الحديث المكتوب بالفرنسية نجد ثلة من أدباء كانوا قد حملوا لواء هذا الأدب و أشهرهم في ميدان الرواية محمد ديب ،مولود معمري، مولود فرعون كـاتب ياسين و مالك حداد ونجد كتاب سابقين استهوتهم الكتابة باللغة الفرنسية من امثال مصطفى لشرف و آسيا الجبار و بالإضافة الى رشيد بوجدرة الذي اعتلى عرش هذا الأدب بلا منازع بعد السيئات [2]، ولهذا فان الاتصال المباشر الذي كان مفروضا نتيجة تلك الظروف التاريخية و الاستثنائية التي عاشتها الجزائر إضافة الى القراءة و الاطـلاع على روائع الفكر

1- سعاد محمد خضر - الادب الجزائري المعاصر . ص 128

2- سعاد محمد خضر - المرجع السابق . ص 128

الفرنسي كان في الأصل و ليس في الترجمة فكل الأدباء الجزائريين و الذين يكتبون بالفرنسية منهم بصورة خاصة اضطلعوا على إنتاج الأدب الفرنسي و تعرفوا على أشهر رواده وأهم مذاهبه عن طريق المدرسة الفرنسية مما سهل لهم هضم انتاجات ذلك الأدب الفرنسي.

2/3- اللغة الفرنسية كأداة تعبير :

- و هنا نجد أن الجزائريين قد اختاروا من محض اختيار أو عن إكراه اللغة الفرنسية كأداة للتعبير و اتخذوا باريس كمركز للنشر و توجهوا بكلمتهم لا الى الجزائريين كما هو متوقع في الظروف العادية بل الى الأجانب ، وهذا ما جعل الباحثين في البيئات الأوروبية شرقا و غربا يختلفون بالأدب المكتوب باللغة الفرنسية في الجزائر حتى إن بعضهم اعتبر أن الكتاب الفرنسيون الذين ولدوا فوق التراب الجزائري [1]و من الكتاب الجزائريين و نهبوا مذاهب شيء في البحث عن الأدلة التي ساقوها لتأكيد غرضهم ، و قد اصطحبت في هذه الضجة التي أثيرت حول هذا الأدب عوامل شيء منها أجهزة الإعلام و الثقافة الفرنسية قد روجت لهذه الفكرة لتظهر أن الثقافة الفرنسية خلقت كتابا بارزين في الجزائر و أن الاستعمار لم يكن كله شيء ، و أن زرعه هذا الاستعمار من حضارة في الجزائر حسب رأيه قد أثمر هذه النتائج الأدبيـة الجيدة شعرا و نثرا واحتفلوا بكتـابتـه ، و قـدمت لهم - و الى هنا نجد أن وضع الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية يجب لا يعتبر في كليته حاله يؤسف لها فكل من الأدبين الفرنسي و الجزائري قد استفاد من الظروف التي كانت قائمة إذا أسهمت في إثرائها ،فالتبادل المباشر للأفكار و الأحاسيس و المشاعر ، و كذا التفاؤل بين الفرنسية و التراث العربي الإسلامي الجزائري ، هذه قد تركت اثارا إيجابيته على كل من الأدبين الجزائري و الفرنسي، فأحيـانا يقدم الكـاتب الفرنكفوني الصفة على الموصـوف كمـا الجوائز

1- عبد الله الركيبي ،تطور النثر الجزائري الحديث ص 199-198

التشجيعية ليست تقديرا ، بل طالما كان هؤلاء الكتاب يعبرون بلغة فرنسية .

- يؤخر الفاعل و يقدم المفعول و انفعاله العربي هو مفاجئ في سياق التعبير أناقة الى الجميع صورة تعبيرية من مادية و معنوية ، التي تشارك كلية في تحديد أسلوب الكاتب الجزائري و تميزه عن بقية الكتاب الفرنسيين بفرنسا أو أولائك الذين تواجدوا بالجزائر مع الاستعمار أي مواليد الجزائر أو ما أطلق عليهم أو على أنفسهم "بكتاب مدرسة الجزائر" أو "مدرسة شمال إفريقيا " من أمثال "روبلس" ، "كامو" و إلى هنا قد نكون ختمنا هذا الفصل .

الفصل الثـانـي

- مظاهر التأثر و عوامل التأثير في حياة مولود معمري .

1- مولود معمري بين الحياة و الإبداع .

2- مولود معمري بين الأدب الروائي و النضال من أجل القضية الأمازيغية لبحث الهوية الجزائرية .

3- التأثير الفرنسي و عوامله في حياة مولود معمري و ثقافته .

- مولود معمري بين الحياة و الإبداع :

1- حياته :

أ/- المولد و النسب :

- ولد الأديب الأنتربولوجي (1) مولود معمري يوم 28 ديسمبر 1917 بقرية تاوريرت مومن ببني يني (منطقة القبائل الكبرى التابعة اليوم لولاية تيزي وزو) ، ينحدر من أسرة ثرية حيث كان أبوه "سالم" أمين القرية ، و ذلك حسب التنظيم الاجتماعي القبائلي ، أين تنتخب كل قرية أمينها الذي يشرف على تسيير شؤونها بالتشاور مع السكان في إطار ما يسمى بالتجمعات أي الجماعة . (2)

- كما ينتمي "مولود معمري" الذي يعتبر من الباحثين الجزائريين الأوائل الذين تخرجوا من المدرسة الفرنسية في أواخر القرن التاسع عشر ، و لمعمري أيضًا عم يدعى "لوناس" كان مستشارًا و صديقًا حميمًا للملك المغربي محمد الخامس ، و لعلّ هذا ما جعل لولود معمري علاقات وطيدة مع المغرب الأقصى و مع العرش المغربي أيضًا عند كبره .

ب/- دراسته :

- ولوج "مولود معمري" في كتاباته بداية بقرية مسقط رأسه في "بني يني" أين حفظ القليل من القرآن الكريم و تعلم اللغة العربية ، شأنه شأن أقرانه من غالبية الأطفال الجزائريين كما دخل فيما بعد المدرسة الفرنسية بقريته ، و بعد حصوله على الشهادة الابتدائية أرسله أبوه إلى الرباط عاصمة المغرب الأقصى و عمره لا يتجاوز الحادية عشرة لمواصلة دراسته

1- الأنتربولوجي : هو الباحث في ثقافات الشعوب ، خاصة تقاليدها و عاداتها و محاولة فهم جذورها و معاني رموزها .

2- بشير بلاح بـ تاريخ الجزائر المعاصر 1830 – 1989 – ج 2 ، د ط دار المعرفة – 2006 . ص 410

الثانوية هناك في مدرسة "الليمي جورو" و قد تكفل به في المغرب الأقصى عمه "لوناس" الذي يعتبر من المقربين له جدًا أي من السلطان "محمد السادس" لكن هذه الحال لم تدم طويلاً فقد ترك "معمري" المغرب قبل أن ينهي دراسته فيها و عاد إلى الجزائر العاصمة و هو في السادسة عشر أين أتم دراسته الثانوية بثانوية بوجو (ثانوية الأمير عبد القادر حاليًا بباب الواد بالعاصمة) ، و بحصوله على شهادة البكالوريا في الآداب الكلاسيكية.

- انتقل "مولود معمري" بعد ذلك إلى فرنسا ليواصل تخصصه في الآداب بثانوية لويس الكبير louis le grand [1] و كانت هذه الثانوية كائنة بالعاصمة باريس [2] فق د درس فيها "معمري" عشية الحرب العالمية الثانية ، و لكنه توقف عن الدراسة بعدما جنده الاستعمار الفرنسي إجباريًا الجيش الفرنسي مثل السواء الأعظم من غالبية الشباب الجزائري آنذاك سنة 1939 .

- كما شارك في العمليات العسكرية التي قامت بها جيوش الحلفاء ، و حارب في فرنسا و إيطاليا و ألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية (1939 – 1945) إلى جانب أديب فرنسي معروف و هو "إيمانويل روبلس)، و سرعان ما أخلت السلطات الفرنسية سبيله سنة 1940 فكانت فته للالتحاق بجامعة الجزائر و الانتساب لكلية الجزائر ليتحصل على شهادة الليسانس في الآداب و كان يرغب في مواصلة دراسته بتحضير شهادة الدكتوراه في الآداب اليونانية لكن لم يسعفه الحظ بسبب العراقيل التي وضعت في طريقه من الإدارة الاستعمارية التي لا ترضى لأي جزائري مسلم أن يكون متفوقًا في دراسته لأن ذلك يدحض الطرح الاستعماري العنصري القائل إنّ الجزائريين قليلوا الذكاء ، فاضطر "مولود معمري" إلى العودة إلى

1- هذا اسم لروائي كبير و كاتب مسرحي فرنسي شهير .

2- بشير بلاح ، تاريخ الجزائر المعاصر (1830 - 1989) ج 2 ، د ط دار المعرفة 2006 . ص 113

الجزائر سنة 1947 ليدخل في الحياة المهنية ليترشح غداة الحرب أي نهايتها إلى مسابقة توظيف الأساتذة للآداب .

- و هكذا نلاحظ مما سبق أن "معمري" قد تنقل بين مناطق عدة من القبائل الكبرى إلى الرباط إلى عاصمة الجزائر إلى باريس ، فتعددت بذلك مناهج أدبه و منابع ثقافته لذلك جاءت ثقافته كثيرة المشارب مختلفة المذاهب ، فرنسية ، عربية ، بربرية أمازيغية و مما لا يخفى على أحدٍ منا أن انتساب "مولود معمري" إلى عائلة ميسورة الحال هو ما مهّل له أن يجوب هذه المناطق و يطّلع على آدابها و ثقافاتها ، فأسرته كانت قادرة على تغطية نفقات تعلمه ليس في الجزائر و المغرب فحسب ، بل في فرنسا أيضًا على عكس كثيرٍ من الأدباء الجزائريين الذين لم يتوفر لهم الحظ مثل "معمري" كما لم توفر لهم ظروفهم المادية القاسية تعليمًا متطورًا مثل تعليم "مولود معمري" ، فهنا نشير أن عامل استمرار التعليم لدى "معمري" و علو مستواه الأدبي هو العامل الفرنسي ، "فمعمري" كان من أشد المنبهرين بالمستعمر الفرنسي مما جعله يحتقر ثقافته الأصلية العربية البربرية و التقاليد التي تلقاها في صغره فالتأثير الأجنبي و الفرنسي خصوصًا في هذه الفترة من حياة "معمري" على نفسه و فكره كان قد بلغ أوجّه . [1]

ج/- حياته المهنية :

- في سنة 1940 شارك "مولود معمري" في الحملة العالمية المناهضة لاندلاع الحرب العالمية الثانية و تابع دراسته الثانوية في المغرب و نجح في ولوج المدرسة العليا للأساتذة و عند انتهاء الحرب عمل "معمري" في المدارس الثانوية لتدريس الأدب ، و انتقل بحكم وظيفتـه بين مدن عدة حيث درّس سنة 1947 في ثـانويـة بمدينـة المدية الجزائرية ثم بعد ذلك

1- بشير بلاح ، تاريخ الجزائر المعاصر (1830 - 1989) ج 2 ، د ط دار المعرفة 2006 . ص 113

في بن عكنون و نجح في تحضير الأستاذية في الأدب و في هذه الفترة وجد "معمري" نفسه قريبًا من الناس الذين صاروا مادة خصبة لكتاباته فأصدر روايته الأولى عام 1952 و كانت بعنوان (الهضبة المنسية) أو (الربوة المنسية la colline oubliée) ، فقد أثارت هذه الأخيرة انتقادات لدى الحركة الوطنية الجزائرية و رأوا أنها اهتمت بنقد التقاليد البالية السائدة في المجتمع الجزائري ، بدل أن تهتم بقضية الشعب الجزائري و أسلوب تخلصه من زيف الاستعمار ، فلكي يصحح ذلك تدارك "معمري" الأولى فأصدر بعدها رواية (غفوة العادل le sommeil du juste) عام 1955 حيث تصور العداء القائم بين الجزائريين الرافض للاستعمار و استحالة التوافق بينهما و نتيجة لعظمة هذه الأعمال تحصل "معمري" سنة 1953 على جائزة (quatre jours) ، و عند اندلاع الثورة المسلحة عام 1954 و ضع "معمري" نفسه في خدمة الثورة ، و عندما علمت القوات الاستعمارية بنشاطه السياسي استهدفته سنة 1957 فقرر اللجوء إلى المغرب و ذلك بأمر من قيادة الثورة، فانتقل إلى المملكة المغربية ولبث فيها مدة طويلة وقد مارس فيها التدريس في إحدى ثانويات الرباط. [1]

- و بعد استرجاع السيادة الوطنية و استقلال الجزائر عاد "مولود معمري" إلى الجزائر و تم تعيينه أستاذًا للأدب و اللغة الأمازيغية بجامعة الجزائر ، و قد نشر في السنوات الأولى للاستقلال العديد من المقالات في مجلة (الثورة الافريقية) لسان حال جبهة التحرير الوطني [2] إضافة إلى روايته الشهيرة (الأفيون و العصا) التي حققت نجاحًا باهرًا حيث صور فيها دور المثقف أثناء الثورة المسلحة، و قد حولت هذه الأخيرة إلى فيلم سينمائي

2- مجموعة الباحثين ، موسوعة أعلام الجزائر أثناء الثورة ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث ، الجزائر 2007 . ص 35

1- مجموعة الباحثين ، موسوعة أعلام الجزائر أثناء الثورة ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث ، الجزائر 2007 . ص 35

للمخرج "أحمد راشدي" الذي اعتبر كفيلم ثوري شهير أنتجته السينما الجزائرية .[1]

د/- شخصيته :

- يتميز "مولود معمري" بعدة صفات أهّلته لأن يسجّل اسمه خالدًا في سجل صفات التاريخ الجزائري الذهبي ، فقد كان الأديب في غاية الانسانية و الرزانة ، شديد التواضع لدرجة أنه يرفض الحديث عن تضحياته و نضاله من أجل استرجاع الجزائر استقلالها ، فهو يعتبر ذلك واجبًا قام به و لا ينتظر عليه جزاءًا أو شكرًا ، كما أنه عميق الإيمان و التدين و يروي عنه الذين كانوا يعملون معه عندما كان مديرًا لمركز البحوث الأنتروبولوجية و ما قبل التاريخ الأنتروبولوجيا ، أنه كان شديد الحرص على أداء صلاته في وقتها فعندما سمع صوت المؤذن يحمل سجادته داخل مكتبه ليؤدي صلاته [2] ، و قد نقل عنه مقربوه أنه لا يكلّ من تنشيط الجلسات الحميمية بين أصدقائه و كان مخلصًا ، هادئًا ، لا يكاد يباشر مشروعًا ثقافيًا حتى تجده منزويًا بمنأى عن الأعين و يتوارى بعيدًا و لا يهدأ له بال حتى يستوي مشروعه على بساط الحقيقة .

- فعن روايات "معمري" فإنها تختلف جذريًا عن الأعمال الأدبية التي كتبها بالفرنسية منذ بداية القرن العشرين ، و اتضح منذ البداية أنه مشروع روائي يوازي فكر الأدباء الذين انصهروا في سياسة الإدماج و المثاقفة ، و تبين من خلال روايته أنها مجرد دعوة صريحة إلى أدب وطني أصيل ، و من أخلاق "مولود معمري" أنه رفض الدخول في مناوشات السب و الشتم مع خصومه و قد فضّل عدم الرد بالمثل لهذه الإهانات و الاتهامات الباطلة التي أراد البعض إلصاقها به .

1- محمود قاسم ، الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية ، د ط الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة 1966 . ص 115

2- بشير بلاح ، تاريخ الجزائر المعاصر (1830 - 1989) ج 2 ، د ط دار المعرفة 2006 . ص 14

- و كإضافة لما سبق ذكره فقد كان "معمري" يرفض دائمًا الالتحاق بأي حزب مهما كان لطالما أراد البقاء مستقلاً يخدم الثقافة بكل حرية و طلاقة ، كما رفض أن تستغل مكونات الهوية الوطنية من أمازيغية و عربية و إسلام لأغراض سياسية و تعتبر هذه المكونات ملحًا للجزائريين كلهم ، و بهذا يعتبر "مولود معمري" رجلاً ذو شخصية قوية لم يهب أي أحد يقول رأيه و لا يخاف لومة لائم ، عبر عن رأيه في اللغة الفرنسية و الثقافة الفرنسية و عن ارتباطه باللغة و الثقافة الأمازيغية دون أن يعير اهتمامًا لناقديه .

ه/- وفاته :

- ما هو معروف عن "مولود معمري" أنه كثير الترحال إلى المغرب الأقصى و ذلك في إطار أبحاثه العلمية حول الثقافة الأمازيغية هناك و تبادل المعلومات مع العديد من الباحثين المغاربة حول الثقافة الأمازيغية [1] ، و بحكم الصداقة و العلاقة الطيبة التي تربط "مولود معمري" و عائلته بالأسرة المالكة بالمغرب الأقصى كثرت رحلاته و تنقلاته إلى هذا البلد إلى أن جاء اليوم الموعود ، إذ أنه أإثناء عودته من إحدى رحلاته إلى المغرب الأقصى بعدما شارك في ملتقى علمي هناك [2] يوم 26 فيفري 1989 وقع له حادث مرور مؤسف و مميت على مشارف مدينة عين الدفلى أودى بحياته ، حيث اصطدمت سيارته بشجرة ثابتة و نقل على إثرها إلى المستشفى في سيارة إسعاف بعين الدفلى ، و سرعان ما انتقلت الروح إلى خالقها ، و هكذا يرحل الكاتب "مولود معمري" و لكن لا أحد من الطاقم الطبي تعرف عليه إذ كانت وثائق الهوية (جواز السفر و رخصة السياقة) تحملان اسم "محمد معمري" .

- لقد اتصل أعضاء الطاقم الطبي بالشرطة و طالبوا الاتصال بعنوان عائلة المتوفي كما ورد في رخصة السياقة : شارع سفينجة - بلدية الأبيار الجزائر ، وصل الدكتور "عمار خريص"

1- بشير بلاح ، تاريخ الجزائر المعاصر (1830 - 1989) ج 2 ، د ط دار المعرفة 2006 . 414

2- بشير بلاح ، المرجع نفسه .

رئيس مصلحة طب الأطفال إلى المستشفى و تم اخباره بوجود جثة سائق سيارة في مصلحة الجثث ، فتعرف الدكتور بسرعة على جثة الكاتب و نقل الخبر لابنته، و في حدود الثانية زوالاً من يوم 27 فيفري 1989 كانت جثة الفقيد قد وصلت أمام عتبة بيته، و في اليوم الموالي نقل النعش إلى موطنه الأصلي بقرية (تاوريت ميمون) و يوارى الثرى في جو جنائزي مهيب، و لقد اكتست مراسيم الدفن حلّة العظماء، و لم يشهد قط مثلها في الجزائر أكثر من 20 ألف شخص من مختلف الفئات و الأعمار رجالاً و نساءًا ، شيوخًا و شبابًا و حشود من الجماهير الموجوعة قدموا جميعًا لوداع الفقيد . [1]

- قبل ثلاثة أيام من رحيله التقى الكاتب "مولود معمري" بالكاتب الجزائري "أمين الزاوي" على هامش أشغال الملتقى التي كانت تدور حول تجليات الثقافة الشعبية المغاربية و قد كان هذا الملتقى قد نظم من قبل جامعة الوحدة المغربية و كان بذلك "أمين الزاوي" آخر كاتب جزائري تحدث إلى "معمري" قبل وفاته ، و قد سرد الكاتب "الزاوي" الكثير من التفاصيل حول هذا اللقاء الذي جرى بينهما ، حيث كان أول لقاء بين الأديبين و ذكر الكاتب "أمين الزاوي" الكثير من الذكريات التي ما تزال عالقة في ذهنه ، تلك اللحظات الأخيرة الخالدة من حياة "معمري" و قد ذكرها "الزاوي" في مقال لجريدة (الشروق) بتاريخ 24 فيفري 2010 و من بين هذه التفاصيل أنه في اليوم الأول للملتقى المذكور سابقًا تحدث عن العديد من الباحثين و الأدباء المغاربة و العرب و الأوربيين إلاّ أنّ مداخلة الأديب الأنتروبولوجي "مولود معمري" و حسب رأي "الزاوي" قد خلطت كل الأوراق و كانت أكثر المداخلات التي أثارت النقاش و ردود الأفعال الفكرية [2] و الثقافية و حتى السياسية

1- بشير بلاح ، تاريخ الجزائر المعاصر (1830 - 1989) ج 2 ، د ط دار المعرفة 2006 . 415

2- أمين الزاوي { كنت آخر كاتب جزائري تحدث إلى "مولود معمري" } ، جريدة الشروق اليومي 2010/03/24 العدد 2905 ، ثقافة الجزائر . ص 19 www.echoroukonline.com

و كان الاحتفاء "بمولود معمري" كبيرًا مما جعل الجميع ينسى الجميع و يهتم بهذه الشخصية الثقافية و الإبداعية و العلمية ، و يقول الكاتب "الزاوي" أنها المرة الاولى التي يلتقي فيها "مولود معمري" و قد وجده في وصف بسيط رجلاً ستينيًا بقامة متوسطة يميل إلى النحافة شعره أبيض كقطعة ثلج يتوج رأسه ، شعر مصفوف نحو الأعلى ، هادئًا لا يتكلم و إذا طلب منه أن يجيب إذا سئل فيجيب و لا يرفع نظره إلاّ ليعرف بعض ملامح المتحدث إليه . [1]

- يواصل الدكتور "أمين الزاوي" رواية تفاصيل لقائه بالكاتب "مولود معمري" في آخر سويعات حياته و يسرد ذكرياته و هي تلك الذكريات التي أبت أن تفارق خياله أو تغادر ذهنه ، فحديث "مولود معمري" في تلك الجلسة كان خارج جلسات أعمال الملتقى حديث العلماء الذين يصرفون عمرهم بحثًا عن شيء ضاع في الرمال ، رمال الأزمة و رمال الصمت للصحراء و في اليوم الثاني من أيام الملتقى أي قبل يومين من وفاة الكاتب "معمري" نظمت إذاعة وجدة الجهوية لقاءًا إذاعيًا بث مباشرةً من استوديو المحطة ، دعي إليه "مولود معمري" و حظي الدكتور "أمين الزاوي" بدعوة المشاركة في هذا اللقاء الإذاعي المباشر و تحدث "مولود معمري" قي هذا اللقاء عن التجربة الروائية و عن بساطته في الكتابة و عن حبه لفلسفة البساطة ثم أفاض في الحديث عن بحوثه في الثقافة الشعبية عن الشاعر "محند" كان حديثه باللغة الفرنسية بسيطًا و عميقًا كعادته ، و لأنه لا يجيد الحديث باللغة العربية صعب على المذيع الذي لم يكن يحسن اللغة الفرنسية في فهمه فاضطر "الزاوي" إلى ترجمة حديث "معمري" بطلب من المذيع و بعد الانتهاء من اللقاء الإذاعي خرج الأديبين معًا من الإذاعة الجهوية بوجدة ، حيث يقول "الزاوي" عن هذا اللقاء كان يشعر بجسر ودٍ كبير تكون بينه و بين "معمري"، و قبل يومين أيضًا من رحيل الكاتب"معمري" عن الحياة أجرت مجلة

1- أمين الزاوي ، المرجع نفسه . ص 19

لوماتان دي قايار (سباع الصحراء) المغربية حوارًا صريحًا مع الدكتور "مولود" كما كان يحلو للكثير من رفاقه و قارئي كتبه مناداته بهذا الاسم ، و كان الحوار مخصصًا و مركزًا على إشكالية خصائص و عولمة الأدب المغاربي المكتوب باللغة الفرنسية ، و خلال هذا الحوار كانت إجابات الكاتب تفاؤلية أحيانًا نلمس فيها الكثير من القراءات لقد كان حسب رأي محاوريه إنسانيًا في إجاباته و محايدا لكتاب عصره ، و من خلال الحوار طرح عليه سؤال عن رأيه في الكتاب الشباب الذين بدو يغزون الساحة الأدبية برواياتهم فكان جوابه متينًا صريحًا من غير أية عقدة ، و ليتأمل القارئ سعة صدر الكاتب و عدم إحساسه بأي غرور أو عقدة الشباب بقدر ما هي قيمة إنسانية نتمنى أن لا يفقدها المثقف الجزائري في كل الأحوال : أؤكد بأنني لا أطمح إلى أية قامة في هذه الروايات الجديدة بل أنا راضٍ كلّ الرضى عن النوع الجديد من الكتابة الذي أصبح يتميز به أولائك الشباب كما أن لهم نظرة جديدة في التفكير تتوافق و وقتنا المعاصر و عليه لابد أن يتجسد ذلك في كتاباتهم . (1)

2- إنتاجه الأدبي و الأنتروبولوجي :

- ترك "مولود معمري" العديد من المؤلفات الأدبية و أعمال أنتروبولوجية و ثقافية و هي :

أ/- في المجال الأدبي :

1/- الهضبة المنسية : هي الرواية الأولى التي نشرها عام 1952 ، و قد ترجمها البعض إلى (التل المنسي) أو (الربوة المنسية) و التي تبتدئ و قائعها في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية لتصور الوضع في الجزائر بأن الاحتلال الفرنسي ، حيث أنها تعبر عن مآسي شعب و أحزانه و بؤسه فهي رواية تقع أحداثها في إحدى المناطق الجبلية ببلاد القبائل ، إذ تدور

1- مقال هذا ما قاله الدكتور"مولود" يومين قبل رحيله ، محطات خالدة في حياة "مولود معمري (جريدة الجزائر نيوز) 25 فبراير 2010 . ص 4 www.djazairnews.info

أحداث هذه الرواية بين شابين أحبّا بعضهما و أرادا الزواج إلاّ أن أسرتيهما ترفضا ذلك فأصبحا محل نقد من مجتمعهما لأنهما لم يحترما تقاليد المجتمع فهذه الأخيرة هي تصوير لتقاليد المجتمع العتيق و بين رغبة البعض في التحرر منها . (1)

2/- غفوة العادل : نشرها عام 1955 و قد ترجمت بـ (نوم العادل) و البعض الآخر "بسبات العادل" و هي رواية تدور أحداثها في قرية ايغزر بمنطقة القبائل و تروي عن قصة أب له ثلاثة أبناء أحدهما يدعى "محند" مريض ينتظر الموت و الثاني "سليمان" اعتنقا الفكرة الوطنية الاستقلالية و الجهاد في سبيل تحرير الجزائر ، أما الثالث فأسمه "أرزقي" طرده أبوه من البيت لأنه تأثر بمعلمه الفرنسي الذي حاول إبعاده عن الإيمان بالدين و الوطن و قد شارك "أرزقي" في الحرب العالمية الثانية ليعود إلى قريته . (2)

3/- الأفيون و العصا : و هي الرواية الثالثة و التي جاءت بعد الاستقلال و كانت تعنى بحرب الاستقلال ذاتها و بمحاسنها نشرها "معمري" عام 1965 و تدور أحداثها في إحدى القرى بمنطقة القبائل تسمى (تالا) ، و تروي جهاد سكان القرية للاستعمار الفرنسي أثناء الثورة المسلحة و القمع الذي تلحقه القوات الاستعمارية يوميًا بشيوخ و نساء القرية بسبب دعمهم للمجاهدين و وصل هذا القمع إلى تدمير تلك القرية . (3)

4/- الموت السخيف لشعب الأزتيك : تدور حول ما لحق حضارة و ثقافة (الأزتيك) التي بناها الهنود الحمر في المكسيك قبل ان يأتي الاستعمار الأوربي إلى القارة الأمريكية فأباد

1- بشير بلاح ، تاريخ الجزائر المعاصر (1830 - 1989) ج 2 ، د ط دار المعرفة 2006 . ص 414

2- بشير بلاح ، المرجع نفسه .

3- بشير بلاح ، المرجع نفسه .

الهنود الحمر عن آخرهم أزال حضارتهم ، و كأن "مولود معمري" يحذر من حدوث نفس الشيء للثقافة الجزائرية و خاصة ببعدها الأمازيغي .

5/- موظف البنك : هو كتاب أصدره سنة 1973 يتضمن مجموعة من القصص القصيرة و المقالات التي سبق و نشرها .

6/- المأدبة (الوليمة) : مسرحية نشرها "معمري" سنة 1973 و لكنها لم تجد صدى كبير .

7/- مشاهو و تالم شاهو : هما مجموعتين من الحكايات الشعبية القبائلية للأطفال صدرتا سنة 1980 عن دار بودراس . (1)

8/- العبور : هي رواية نشرها عام 1982 و تدور أحداثها في الصحراء الجزائرية و هي نتائج السنوات العديدة التي أقام فيها "مولود معمري" مع سكان الصحراء من أجل جمع مورثهم الثقافي الامازيغي مع البحث معهم عن اللغة الأمازيغية الأصيلة ما دام أن سكان الصحراء لم يحتكوا بثقافات أخرى وافدة ، و يبدوا أن هذه الرواية هي قصة كتبها "مولود معمري" مع سكان الصحراء الجزائرية . (2)

9/- ريح الجنوب : مسرحية أصدرها "مولود معمري" سنة 1982 و لكنها هي أيضًا مثل مسرحية المأدبة لم تحدث شهرة واسعة و لا صدى كبير مثلما أحدثته روايتي (الهضبة المنسية) و (غفوة العادل) .

10/- توقفات : هي بضع قصص قصيرة نشرها "مولود معمري" قبل وفاته فيما سبق و في

1- أحمد منور - الادب الجزائري باللسان الفرنسي - نشأته و تطوره و قضاياه . د ط ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2007 . ص 186

2- أحمد منور ، المرجع نفسه . ص186

أوقات و أماكن متفرقة ، و لكنها جمعت بعد وفاته و نشرت في الجزائر سنة 1996 [1] و منها قصة (حمار الوحش) التي عرض فيها "معمري" المراحل التي يمر بها الشاب الجزائري الراغب في الاندماج في الحضارة الغربية المنبهر بالثقافة الفرنسية و المبادئ المزيفة التي كانت تنادي بها ، و مرورًا بمرحلة الانهيار وصولاً إلى مرحلة العودة إلى العمل ، حيث يعاني الشاب الجزائري من تمزق نفسي و اجتماعي و حضاري ، فقد صوره "معمري" وفق مراحل مختلفة . [2]

ب/- في المجال الأنتربولوجي و اللغوي و الثقافي :

1/- Lexique français - touareg - dialecte de l'ahagar :

- قاموس فرنسي - تارقي لجهة الهقار ، نشره عام 1967 بالتعاون مع الباحث الفرنسي كورتاد . [3]

2/- قاموس (أماوال) أمازيغي - فرنسي / فرنسي - أمازيغي :

- و هو قاموس مزدوج اللغة صدر سنة 1973 بالجزائر . [3]

3/- Les I sefra , poème de mohand ou mohand :

- أشعار "سي محند أو محند" ، نشرها عام 1969 ، وهي أشعار الشاعر الأمازيغي

1- عيادة بامية أديب - تطور الادب الاقصى الجزائري (1967/1925) ثر ز محمد صقر د ط ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982 . ص 94

2- عايدة أديب ، المرجع نفسه . ص 95

3- أحمد منور - الادب الجزائري باللسان الفرنسي - نشأته و تطوره و قضاياه . د ط ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2007 .ص 186

3-عايدة بامية ، المرجع السابق . ص 95

"سي محند أو محند" بالقبائلية مع ترجمة معانيها إلى اللغة الفرنسية ، و يشبه هذا العمل كتاب "مولود فرعون" الذي نشره عام 1960 عن أشعار الشاعر .

4/- تاجرومت نتامازيغت Tajerrumt n'tamazight :

- أجرومية اللغة الأمازيغية أو القواعد النحوية الأمازيغية ، نشره عام 1976 عن دار ماسبير بباريس (maspero - paris) و هذا الكتاب يتعلق بقواعد اللغة الأمازيغية من حيث التركيب و الصرف .

5/- أهليل قورارة Lahellil du gourara :

- نشره عام 1985 و هو جمع لمجموعة كبيرة من الأشعار و الأغاني التي قبلت باللهجات الأمازيغية في الصحراء الجزائرية و بالضبط في الجنوب الوهراني أيضا و منها الزناتية و الشلعية و الأهليل معناه : اشهار و أغاني باللهجة الأمازيغية الزناتية . [1]

6/- مختصر قواعد اللغة البربرية Précis de grammaire berbère :

- أصدره سنة 1988 عن مطبوعات (أوال) أو (الكلمة) و هي دفاتر الدراسات البربرية التي أسماها "مولود معمري" بباريس و صدر منها عشرة أعداد في الفترة ما بين 1985 / 1989 .

3- مولود معمري بين الأدب الروائي و النضال من أجل القصبة الأمازيغية لبعث الهوية الجزائرية :

- بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، و بعد فشل " مولود معمري " في الاندماج في مجتمع

1- أحمد منور – الادب الجزائري باللسان الفرنسي – نشأته و تطور ه و قضاياه . د ط ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2007 .ص 186

المستعمر عاد " معمري " الى مجتمعه و هويته و قد بدأ حياته انطلاقا من النضال الأمازيغي و ذلك من خلال تناوله لدراسة لمفهوم الهوية عبر مجموعة من الكتابات و الأبحاث التي نشرها في مجلة " أكدال " منذ سنة 1938 و هي مجلة تصدر بالمغرب تهتم بثقافة المجتمع الأمازيغي و كان يصدرها المعهد العالي للدراسات الأمازغية في ظل الحماية الفرنسية، و لقد مكنته هذه الأبحاث حول الهوية بصفة عامة و حول الهوية الأمازغية بصفة خاصة .

- و كما يجول أو يقول "مولود معمري" أن الشخصية و الهوية الجزائرية تتشكل من ثلاث مكونات أساسية و هي الأمازغية و الاسلام و العربية فالشعب الجزائري أمازيغي الأصل و الجذور دينه الاسلام فقد تبنى اللغة العربية بصفة أنها لغة دينه، شأنه في ذلك هو شأن الشعوب المسلمة غير عربية الأصل، لكنه في جزائر الاستقلال توجد عدة أطراف تحارب هذه المكونات الاساسية للشخصية الجزائرية بأساليب شتى , فكما يحارب بعضهم الاسلام نجد آخرون يحاربون العربية و هناك من يحارب الأمازغية و ثقافتها التي هي الاصل و كأنهم يطردون صاحب البيت من بيته و هل يعقل أن صاحب البيت أن يستسلم لذلك. [1]

- و هكذا كرس "مولود معمري" حياته من أجل مواجهة هؤلاء الذين تنكروا لأصلهم و ثقافتهم و ذلك بالعمل من أجل بعث الثقافة الأمازيغية و الحفاظ عليها، فدرس اللغة الأمازيغية بجامعة الجزائر بعد استرجاع الاستقلال و أولى فيها اهتمامه بقواعد النحو و وضع قواميس لذلك منها قاموس فرنسي - تارقي و ذلك لاعتبار أن اللغة التارقية هي أقرب اللهجات الأمازغية. [2]

1- بشير بلاح ، تاريخ الجزائر المعاصر (1830 - 1989) ج 2 ، د ط دار المعرفة 2006 . ص 418

2- بشير معمري، المرجع نفسه . ص 413

- و إضافة إلى ما سبق فقد اهتم "مولود معمري" بالجانب المتعلق بسنيات اللغة الأمازيغية و شرع في جمع و إعداد القواعد اللغوية الخاصة باللغة الأمازيغية من حيث التراكيب و الصرف و غيرها و إصدار كتابا لهذه الغاية، و في سنة 1980 إثر منعه من تقديم محاضرة ثقافية بعنوان "الشعر الأمازيغي القديم " بجامعة تيزي وزو ستندلع انتفاضة الربيع الأمازيغي الخالدة المعروفة أمازيغيا بـ "تافسوتن يمازيغن"، و في ما يلي مقتطفات من النضال الأمازيغي للأستاذ "مولود معمري" :

- في سنة 1938 نشر أشعار "سي محند او محند" حيث اهتم "معمري" كما أسلفنا الذكر بالشعر الأمـازيغي، خاصة في المناطق القبائلية اهتماما بالغا، أسند إليه إدارة المركز الوطنيللأبحاث الأنتروبولوجية و الدراسات ما قبل التاريخ و الأثنولوجية من سنة 1969 حتى سنة 1980، و سخر هذا المركز (CRAPES) [1] لخدمة الثقافة الأمازيغية و نشر العديد من الأبحاث عنها، كما أسس في هذه الفترة المجلة العالمية "ليبيكا" " lybica" و التي إختار لها توجها علميا محضا سنة 1974، إنتهى من إعداد كتاب حول قواعد اللغة الأمازيغية و أصدره بفرنسا .

- و في سنة 1980 صدر له " أشعار قبائلية قديمة " و الذي كان موضوع للمنع في أبريل 1980 بالإضافة إلى الأساطير البربرية في منطقة القبائل، و نشر دراسة من 446 صفحة

حول "أهاليل قورارة" بنواحي أدرار في الصحراء الجزائرية عام 1985 حيث جمع و علق على العديد من الأشعار الأمازيغية في الصحراء الجزائرية .

1- مركز البحوث الأنتروبولوجية و ما قبل التاريخ و الأنتولوجيا CRAPES هو مركز بحث يعتني بعلم الأجناس و الثقافات للشعوب و تقاليدها و عاداتها و تاريخها، و كان يصدر مجلة لبيكا بالفرنسية lybica و يشرف عليه "مولود معمري" نفسه .

- في سنة 1988 حصل على جائزة الدكتور "هونور بسكوزا" من جامعة السوريون فيعد هذا فعلا مسارا حافلا لكاتب عربي منفي إلى لغة أخرى، و هو لم يختر ذلك و لو لم يكتب باللغة الفرنسية، فمن المرجح أنه كان سيكتب باللغة البربرية الأمازيغية لكن هذا لم يمنع شعوره الحاد بعروبته رغم المتاهة الكبيرة التي عاشها في الفرقة الأجنبية الي إلتحق بها و هو شاب و كانت تعسكر في الصحراء و تضم جنود من مختلف بلاد أوروبا، و من الجدير بالذكر أن "معمري" قد زار عدة مناطق في الصحراء الجزائرية في إطار اهتمامه بالثقافة الشعبية عامة و البربرية خاصة و قد أقام معمري فترة طويلة في الصحراء الجزائرية لأنه يرى في مكان هذه الصحراء المنبع الصافي للثقافة الأمازغية الأصيلة لأنهم لم يحتكوا بشكل كبير بالثقافات الوافدة الأخرى على عكس المناطق الجزائرية الأخرى، و لم تؤدي هذه الرحلات و التنقلات إلى أعمال علمية أو أنتروبولوجية فقط، بل كانت سببا في تأليف آخر رواياته الأدبية عام 1982 بعنوان "العبور" " la traversée " تدور حول مشاكل التي اعترضته في أبحاثه في الصحراء و قد كان "معمري" يرى أن الثقافة الشعبية هي التي تعبر فعلا عن المجتمع عكس الثقافة الرسمية التي هي ثقافة الأنظمة في نظره و هكذا قد أصبح "مولود معمري" بعد كل هذا النضال رمزا لكل أجيال الثقافة الأمازيغية حيث ترك بصماته واضحة في كل المشاريع الفكرية و الميدان العلمية التي استهدفت إبراز الثقافة و اللغة الأمازيغيتين و تجديدها في المعارف الإنسانية المرتبطة بهذه الثقافة الإنسانية أدبيا و أنتربولوجيا لغويا و فنيا .

4- محاضرات معمري الجامعية و دراسته الأنتروبولوجية :

- لقد كانت كل الدراسات التي قدمها "مولود معمري" في المحافل الدولية تقابل بنوع من التحفظ من قبل السلطات المحلية، ففي عام 1974 ألفت جامعة قسنطينة ملتقى دوليا بعنوان "الآداب و التعبير الشعبي في المغرب الحالي" و في هذا الصدد يقول "شارلس بون" عن

واقعة نستطيع القول أن هذا الملتقى الذي منع في آخر لحظة، كان تخوفا من أيه قراءة لـ "مولود معمري" بخصوص الأدب القبائلي القديم [1] و لعلّ التحفظ على هذه الدراسات واشباهها، أبقى نية السلطات على منعه من أيه محاضرة في هذا الموضوع إلى غاية سنة 1980 , حيث تلقت خطوة المنبع غضبا طلابيا واسعا، امتدت شرارته و انتشرت شظاياه إلى كل الشارع آنذاك حيث أنه في هذه السنة 1980،تلقى الكاتب "مولود معمري" دعوة لإلقاء محاضرة بجامعة تيزي وزو بعنوان " الأدب الشعبي القبائلي" غير أن السلطات الوطنية قررت يوم 10 مارس 1980 إلغاء المحاضرة، ممّا ألهب الأجواء الطلابية و تسارعت الأحداث، فولّدت غضبا شعبيا و مواجهات مؤسفة بيوم 1980 /04/20 و هي الأحداث التي أصبحت تسمى بـ "الرّبيع الأمازيغي" و في نفس العام لم تتوقف آلة الكاتب من تلفظ ما كانت تدونه من أعمال أدبية، حيث أقدم على تجربة نشر ما جاءت به قريحته من شعر فكان ديوان "أشعار قبائلية" مولودا أدبيا مميزا و في زخم تلك الأنشطة المكثفة بادر "معمري" إلى عقد ندوة قيمة حول اللغة و الأدب الأمازيغيين، و كانت تلك صيغة مكملة لإحدى الندوات التي أختتمت أشغالها بمدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية بفرنسا، و من أبرز ما يحسب للكاتب أنه أول من قنن اللغة الأمازغية في صيغة أدوات علمية ساهمت في ترقيتها و جعلها أكثر تنظيما.

- و أياما كان الامر، فإن اللغة المكتسبة تعد فعلا ثروة يجب الحفاظ عليها ضمن خطاب أدبي أصيل، لأننا نسعى دائما إلى إستغلال ما ورثه من ثقافة و فكر دون معادة لأية لغة .... كانت تلك فكرة آمن بها الكاتب "مولود معمري" و لطالما نادى بها و حذر من مغبة الانسياق وراء

1- ينظر : مقال "هذا ما قله لنا مولود معمري يومين قبل رحيله / محطات خالدة في حياة مولود معمري جريدة الجزائر نيوز ع 2005 . 2010/02/25 ص 20 www.djazairnews.info

فكرة تنازع الثقافات و الأدب لأنها فعلا بحاجة إلى تعايش يكفي عن التنافر الذي لا يخدم طرفا .

- و في عام 1988 كرم "مولود معمري" بالدكتوراه الفخرية منحتها له جامعة السوربون نظيرا لما قدمه من أعمال أدبية و إنسانية خالدة. (1)

5- "مولود معمري " و موقفه من سياسة الاستعمار الفرنسي :

- كان "مولود معمري" يرى الاستعمار الفرنسي ليس نظاما سياسيا و اقتصاديا مبنيا على السطوة و العدوان و اللّصوصية فحسب، بل هو نظام يستمد في عليته من نظرة رجعية تحتقر البشر، و فلسفة لا تؤمن بالقيم الأخلاقية و المكتسبات الحضارية التي جاهدت الإنسانية عصورا من أجل تشييدها و الحفاظ عليها، و لتفهم موقف "معمري" من الاستعمار كان و لابد من الاضطلاع على مؤلفاته التي تحتوي الكثير من الأفكار الرافضة للاستعمار و من بينها تلك الرسالة التي أرسلها معمري إلى صديقه الفرنسي الأصل جزائري الروح و المنشأ "جاك سيناك" و التي عبرت من خلالها عن مدى الألم الذي كان يختلج في نفس معمري، كيف لا و نحن نعلم أنه كاتب مرهف الاحساس و في هذه الرسالة دليل قاطع على رفض معمري للاستعمار و أن كتب بلغته و تأثر بثقافته إلا أنه لم يرض مطلقا بتصرفاتها لهمجية و احتقاره الحيواني للإنسان ، و هذه الرسالة و كما نرى هي حجة بنية على وطنية معمري التي شكك فيها الكثيرون من أبناء وطنه الذي يبكي شعب بأكمله غن لم نقل عرق انساني بأكمله نجرع مرارة الغزو الاستعماري اللعين الذي وقع رهينة أسره.

- و في محتواها يعير "معمري" عن نقمته على الاستعمار الهمجي و على اكتشافه لزيف المبادئ و المثل الفرنسية الكاذبة و فيها يبدوا موقف "معمري" من الاستعمار الفرنسي

1- أحمد منور، ملامح أدبية (دراسات في الرواية الجزائرية) بط وزارة الثقافة في إطار الصندوق الوطني للترقية و الفنون و الآداب . ص 141

واضحا ، و مفتاحنا لفهم موقف "مولود معمري" أكثر ، جملة يقولها دوما أحد أبطال روايته كلما سئل عن سبب تصرفاته أنا جزائري ... ذلك أن أدب "معمري" يدور حول الشخصية الجزائرية و الواقع القومي.[1]

- و من هنا تعرض في أعماله الأدبية الى قضايا بلاده و نضالها التحريري ، و منها قضية الاستعمار ففي رواية " غفوة العادل " يورد معمري جملة على لسان أحد السكان الفرضية التي بطش بها الحاكم المستعمر الظالم : اعتقد أنك تحتقر الناس إلى حد بعيد ما دمت ترضى أن تحكمهم على هذه الشاكلة.[2]وبما أن "معمري" كان يرى الاستعمار الفرنسي هو نظام يحتقر البشر و يعتبرهم حثالة لائقة لاحقهم في الحياة لكن ليس كل البشر بل أولئك الذين يقفون في وجه آلة الضمار الفرنسي - الجزائريون - هم من يحتقرهم الاستعمار و يتمنى لو يستطيعوا محونا من وجه الكرة الأرضية ، وقف لهذه النظرة اللاإنسانية للجزائريين كان لازما على "معمري" أن يرفض هنا الاستعمار و أن يقدمه من نضال من القيود العبودية.

- مظاهر التأثر في أدب مولود معمري:

- ثقافة معمري و آرائه : لقد كان معمري من أسد المنتبهين بثقافة المستعمر الفرنسي مما جعله يحتقر فئة الأصلي العربية البربرية و تقاليده التي تلقاها في صغره، فالتأثير الأجنبي و الفرنسي بالذات على نفس معمري و فكره في مرحلة الشباب، كان حد وصل أوجه لدرجة دفعت بمعمري إلى الكتابة دراسة و صوني العشرين من عمره أو يكاد لا يتجاوز هذا السن بعنوان المجتمع البربري ينتقد فيها بشدة قيم عمره و ثقافة و تاريخ هذا المجتمع البربري التي يجب أن نزول حسب و تترك المكان للثقافة و القيم الغربية، [3] التي أعجب بها إعجابا

1- ينظر: عبد العزيز شرف: المقاومة في الجزائري . ص 117

2- ابراهيم الكيلاني . ص 58

3- ابراهيم الكيلاني المرجع السابق . ص 34

و بدأت علاقته بها تتوطد منذ صباه أي منذ دخوله المدرسة الفرنسية و اتصاله بالمعلمين الفرنسيين الذين حشوه في رأسه أطروحات غريبة لا أساس لها من الصحة حول العدالة و الأخوة و الإندماج .

- و قد أوضح الكاتب "معمري" المزايا التي كسبها من الثقافة الغربية، حيث يقول: لقد ساهمت في استخداماتنا القيم الحقيقية لثقافتنا الصرفة التي كادت أن تبقى بالنسبة لنا كلمات ميتة صماء[1] و قد ذهبت إلى أبعد من ذلك حيث صرح بأن الثقافة قد أصبحت بالنسبة له أداة ممتازة من أجل التحرر .

- إذن فهنا اعتبر "معمري" الثقافة الفرنسية أداة طيعة سهلت له الكتابة، و الوصول إلى القراء و لم تكن يوما بالنسبة له عقدة، فهو يعلم جيدا أن لا سبيل للوصول إلى مبتغاه دون استغلال لغة العدو كوسيلة للتعبير .

- و لأن مولود معمري كان كاتبا فداء و عالما يشار له بالبنان، فقد أثار اهتمام غيره من الأدباء و النقاد الفرنسيين مشيرا إلى مساهمة معمري في تطور الثقافة و إغناء الأدب قائلا... أدخل مؤخرا حيوية جديدة في الأدب القصصي الفرنسي [2] و لم تكن المنفعة أقل من هذا بالنسبة للجزائريين .

- و هكذا قدم "معمري" بثقافته الفرنسية المنفعة للفرنسيين و الجزائريين معا و انتقده أبناء وطنه على ذلك، "فمولود معمري" لم يعان يوما من عقدة الثقافة الغربية بل بالعكس اعتبرها غنيمة حرب جاءت في صالح الكتَاب الجزائريين ، إذ يرى "معمري" أن وجود الثقافتين في الجزائر كان حظا في طالع الكتاب و يعبر عن هذه الفكرة بقوله "أكاد أقول" أن ذلك حظ و ربما تكون قيمة الكاتب الذي يعزف على وترين أفضل من قيمة من يكتفي بأن يعبر عن

2- عيادة بامية أديب - تطور الادب الاقصى الجزائري (1967/1925) ثر ز محمد صقر د ط ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982 . ص 54

شعوره بلسانه الخاص، و يجب اعتبار ذلك ثورة جزائرية تغني الثقافة الجزائرية فلا يجب أن نبتر هذا الجزء الذي هو خط خاص بالجزائر كما أعتقد.

- و هذا يعني أن مولود معمري قد عبّر عن شعوره اتجاه هذه الثقافة الأجنبية التي اعتبرها ثورة جزائرية خاصة انفردت بها الجزائر فلم تكن لغيرها من الأقطار العربية، فعندما تندمج الروح الشرقية للجزائر بالثقافة الفرنسية التي يستخدمها الكتاب الجزائريون تكون النتيجة أدبا جديدا أصيلا، و يكون الكاتب بذلك يعزف على وترين على حد تعبير الكاتب "مولود معمري" فالأدب الجزائري مع ما له من خصائص عربية تميزه عن غيره من آداب الأقطار العربية الأخرى حيث لم يكن للاستعمار تأثيرا مشابها على التعليم و الثقافة، بل إن التفكير الجزائري في حد ذاته يعتبر مختلفا و شبانيا، حيث أنه يشكل مزيجا من العقلانية و الشاعرية و المنطق، و لا يمكن لهذه العناصر المتناقضة أن تكون جميعها وليدة ثقافة المستعمر على المنطق و العقلانية [1]. و ما يطبق على الجزائريين عامة ينطبق على "مولود معمري" خاصة فتأثره بالثقافة الغربية أمر يقيني لا شك فيه، و بإقراره هو بحد ذاته خاصة أنه لم يكن يخفي إعجابه باللغة الفرنسية و عدم شعوره بعقدة النقص اتجاهها إذ نجده يرد عبارة مالك حداد الشهيرة اللغة الفرنسية هي منفاي، بقوله : يجب أن لا نبكي و نشعر بالضياع لأننا نكتب باللغة الفرنسية، فأنا شخصيا إذا كتبت باللغة الفرنسية فإنني لا أشعر بأي عقدة نقص فالكاتب مهما كانت اللغة التي يكتب بها إنما يقوم بعملية ترجمة لعواطفه و أفكاره هو أنني أقول : إن هذه فرصة ، بل إنها ثروة للثقافة الجزائرية. [2]

- و هكذا يكون الكاتب الجزائري "مولود معمري" لا ينفك يذكرنا بأهمية اللغة الفرنسية

1- عيادة بامية أديب - تطور الادب الاقصى الجزائري (1967/1925) ثر ز محمد صقر د ط ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982 . ص 55

2- سعاد محمد خضرة الأدب الجزائري المعاصر دط دار منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت 1967 . ص 90

و بدورها في إغناء الثقافة الجزائرية، و يؤكد لنا على أنها فرصة فريدة من نوعها لم يحض بها غيرنا من الشعوب العربية، غير أن هذا الوضع المتميز له أثاره السلبية على الأدب الجزائري، فالكتاب الجزائريون من بينهم "مولود معمري" بسبب حاجز اللغة لم يكونوا قادرين على الوصول إلى مخاطبة شعبهم، ماعدا قلة محدودة، كما أن الوضع السياسي السائد في الجزائر آنذاك اضطرهم إلى حذف أجزاء من كتاباتهم، و لا سيما تلك التي تنتقد السياسة الاستعمارية الفرنسية في بلادهم [1] حتى يضمنوا نشر هذه الكتابات فقد صرح "مولود معمري" بأنه ضحى بجانب من الواقع الجزائري بسبب الوضع السياسي الذي كان قائما في بلاده و قد عبر عن هذا الموقف بالكلمات التالية : ... كنت مضطرا للتعبير عن افكاري بأسلوب غير مباشر، و اللجوء الى الغموض و أحيانا ... و هذا أخطر و أعظم إلى اختبار مواقف ما كنت اخترتها في إطار سياسي مختلف . و عليه فقد كان معمري يعاني من المراقبة الصارمة من قبل السلطات الاستعمارية المتسلطة في كتاباته الأدبية خاصة أنه كان يكتب بلغتها أي اللغة الفرنسية و خوفا من اطلاع الفرنسيين على كتابات "معمري" و غيره من الأدباء الجزائريين ذو التعبير الفرنسي و زيارة مقرونيتهم لكتاباتهم ، و حتى لا يصل صوت الشعب الجزائري و نضاله و صموده في وجه في وجه آلة القمع الاستعمارية المتعجرفة إلى الرأي العام العالمي و حتى لا يكتشف هذا الأخير صورة الاستبداد الاستعماري فقد قامت السلطات الاستعمارية بكبت صوت الأدباء الجزائريين و محاولة كبح زمام الأمور التي بدأت تنفلت من يدها شيئا فشيئا ، خاصة أنها هي التي قدمت لهم السلاح دون أن تدري ، فانقلب السحر على الساحر ، إذ أن فرنسا لم تفكر يوما في أن اللغة الفرنسية التي فرضتها على الجزائريين و أحلّتها محل اللغة العربية. [2]

1- من اجل ان يتمكن مولود معمري من نشر رواية الاولى الهضبة المنسية اضطر الى حذف قسم كبير منها و هذا التصريح ورد في كلمة له مع الدكتورة عايدة بامية اديب في مقابلة بينها المرجع السابق . ص 55

2- مولود معمري المرجع نفسه . ص 6

- إذن : اكتشف "معمري" من أنه و غيره من الجزائريين لا يساوون شيئا في نظر الفرنسيين حتى و أن تعلموا في مدارسهم لغتهم و كتبوا بها و حتى و إن أعلنوا إعجابهم بثقافتهم و حضارتهم، إلاّ إن إصرار الإدارة الفرنسية الاستعمارية على تحطيم الجزائريين و شل مقدرتهم على العيش الكريم جعل الجزائريين يفقدون حتى القدرة على الإيمان بأنفسهم و الرغبة في الحياة، هذا ما قبل الحرب العالمية الثانية حين اشتدت وطأة الاستعمار على الجزائر و قد كان "معمري" من الأدباء الملتزمين الذين انخرطوا بصورة مباشرة في غمار الثورة مجندين لنصرتها، وقد كان من المستحيل عدم الالتزام اتجاه ما سماه "معمري" واقع الأمة الجزائرية العميقة و يعتقد "مولود معمري" أن حرب التحرير الجزائرية، كانت حربا من نوع خاص فمن المستحيل أن تصبح مجرد رماد أو تنتهي و تتوقف، و هو يؤكد على أن الثورة يجب أن تؤدي إلى تأليف كتاب ضخم أو بالأحرى ملحمة لها ضخامة رواية (حربا و سلاما). (1)

- و هكذا انجر "معمري" مثل غيره من الغيورين على وطنهم و ثورتهم فاستل قلمه و نفث فيه أعظم الإبداعات الأدبية و اللغوية، و يؤكد كلامنا هذا اعتراف النقاد و دراميي الأدب جميعهم بأن أعمال "معمري" الروائية كانت تسير في خط متوازي مع تطور الوقائع السياسية في الجزائر. (2)

- و إلى هنا نجمل الحديث عن بعض أراء "معمري" الفكرية، و لا ننسى أن ننوه قبل أن نختم الحديث عن تأثره بالثقافة الأجنبية، باعتقاد "معمري" بوجود أربع لغات في جزائر الاحتلال و قد صور وضعها على النحو التالي : المستوى الأول و تأتي فيه اللغة العربية "الكلاسيكية" و هي اللغة الرسمية و في الوقت نفسه اللغة التي هي ليست لغة أحد من الجزائريين و في مستوى الثاني نجد اللغة الفرنسية، و وضعها القانوني غير واضح لكنها

1- عيادة بامية أديب - تطور الادب الاقصى الجزائري(1925/1967)ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر1982. ص 92

2- عايدة بامية اديب المرجع السابق . ص 92

تتمتع بمكانة مرموقة لأنها لغة التعامل اليومي، و تأتي في المستوى الثالث و الأخير اللغتان الشعبيتان العربية الجزائرية و الأمازيغية و هما لغة الحديث اليومي لكل أفراد الشعب غير أنهما لا تتمتعان بأي وضع قانوني رسمي، و من هنا يكون "مولود معمري" قد اتخذ موقفا من اللغة العربية في الجزائر، و اعتمد في تصنيفه لها على لغة الحديث اليومي و اعتباره أن اللغة الفرنسية هي التي كانت حسبه تحتل مكانة مرموقة في المجتمع الجزائري، دليل قاطع على تأثره بهذه اللغة و احتلالها لمكانة في نفسه و فكره و ليس هناك أول من ذلك، و إذ أردنا التعرف على أسباب ذلك فلا سبيل لنا سوى تتبع و رصد عوامل التأثير الفرنسي في حياته و ثقافته .

- إنتاج "مولود معمري" للنص الأدبي المكتوب بالفرنسية :

- لقد كان "لمولود معمري" أسلوبا خاصا في الكتابة و منهجا خاصا يختلف عن غيره من الأدباء أصحاب اللسان الفرنسي، و حتى تناوله الموضوعات الأدبية يختلف عن تناولهم فتناولهم لموضوع الفقر كان تناول مراقب فذ لم ينجر في تيار العاطفة و لم يقع في الأخطاء التي وقع فيها غيره كـ "مولود فرعون" و "محمد ديب" [1]، فقد استطاع أن يصور الواقع من وراء ظلال الرومانسية التي لطفت فضاضة الحياة الواقعية، و قسوتها و ذلك دون أن يشوه الوقائع الحقيقية و كانت هذه مهمة بالغة الصعوبة بالنسبة "المعمري"، و تكمل صعوبتها في الإبقاء على توازن خطير بين الاستعباد الظاهري و للتجرد العقيم. [2]

- و "يعرف معمري" الحدود التي يقف عندها الكاتب و هو يصور الواقع كما يلي يجب أن نحيا حياة الرجال دون أن تنضم حتما الى أهوائهم التي لا تدوم أكثر من يوم أو إلى تحيزاتهم التي تستمر عدة أعوام و يجب أن ننطلق إلى ما هو أساسي في مصير الرجال، دون أن

1- عيادة بامية أديب - تطور الادب الاقصى الجزائري(1925/1967)ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر1982. ص 93

2- عايدة بامية اديب المرجع السابق . ص 94

نهرب بالضرورة من الأحداث التي تشكل المأساة اليومية. [1]

- و هكذا يعتقد "معمري" أن الكاتب يجب أن يكون صادقا مخلصا في كتاباته بحيث يعطي القارئ صورة حقيقية عن الحياة، لكنه يؤمن أيضا بأنه من المستحيل بكل الحقائق و لذلك نجده يلتزم الصمت أمام تلك الحقائق العارية التي يصعب نقلها من الواقع إلى الأدب و يشرح موقفه قائلا : إن الروائي مضطر ليتجاهل بعض أوجه الحقيقة، كما لو لم تكن موجودة، أوجه ربما تبدوا للآخرين مهمة و أساسية و أكثر من ذلك فإن الصدق الفني التاريخي ، توجد حقيقة للفن تتجاوز الحقيقة التاريخية، و هذه الأخيرة هي غالبا ما تكون حقيقة زمن معين أو ظروف خاصة، و الحقائق التاريخية يمكن أن تتابع دون أن تتماثل، فتحل الواحدة مكان الأخرى أو تموهها [2]، و لا يعني هذا أنه ينبغي أن نضحي بالحقيقة من أجل الفن، غير أن مهمة الكاتب و واجبه في نظر "معمري" تكهنات في : .... أن يندفع الفن قدر المستطاع حتى تصل إلى ما يعتقده الحقيقة الأساسية تلك التي تقوم عليها الحقائق المؤقتة. [3]

- فإذا كانت الكتابة عند هذا الأديب تتيح فرصة الممارسة في الحقل الاجتماعي المتكلس و تطمح الى إيجاد سجل تغيره نحو الأفضل بواسطة الخطاب الأدبي،فإنها تجعل الذات تندمج في الخطاب الوطني، متفاعلة معه و متبلورة نسبيا ضمنه في علاقة جدلية ترفع من مستوى التشابك الضروري بين الوعي و التاريخ و هو الأمر الذي جعل الخطاب الروائي عند هذا الأديب يعرف تصعيدا ثوريا في موقفه من الآخر فينقل البحث من الاعتراف بالوجود عن طريق الحوار إلى السؤال و المواجهة ثم العنف المسلح، و لكن ضمن رؤيـة إنسانية. فإذا كـانت الكتـابة تطرح منذ البداية إشكالية اللغة و تعتبر لغة الآخر التي فرضتها المثقافة و برر

1- عيادة بامية أديب - تطور الادب الاقصى الجزائري(1925/1967)ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر1982. ص 93

2- عايدة بامية اديب المرجع السابق . ص 94

3- عايدة بامية اديب المرجع السابق . ص 94

استعمالها منطق التاريخ و سيرورة الأحداث و تطورها، و أصبحت مع مرور الزمن رمزا للتبعية الثقافية بالنسبة للكثير من المثقفين في الجزائر فإن امتلاكها لدى هذا الأديب حظ.

- و عليه تعتبر الثقافة الغربية إلى جانب اللغة الفرنسية هي أداة ممتازة من أجل التحرر و هو المطلوب بحيث يمر بالضرورة عن طريق الخطاب الإيديولوجي و الأدبي المضاد و المتضمن، ففي معظم أعماله الأدبية يحددها التملك للغة الفرنسية إضافة إلى إمكانية انتهاك حرمتها عن قانونها النحوي بواسطة إدخال كلمات عربية و بربرية في العمل الروائي و بهذا تصبح لغة الرواية غريبة لدى القارئ الفرنسي باعتبارها الأصل. [1]

- و إلى هنا نستنتج أن "مولود معمري" اعتمد في كتاباته الأدبية و حتى الأنتروبوجية على منهج خاص و بذلك استحق التقدير من قبل الدارسين غربا و شرقا و حتى لو لم يكن فرنسيا تقدره دور النشر الفرنسية و ذلك لسبب هو أنه أعجز الرأي و اللسان عن التعبير .

- التأثير الفرنسي و عوامله في حياة "مولود معمري" و ثقافته :

- انقسمت عوامل التأثير الفرنسي في الجزائر و في حياة "مولود معمري" خاصة على النحو التالي و حصرناها في عاملين :

1- التعليم الفرنسي في المدرسة الفرنسية :

- تعتبر هذه المدرسة إحدى القنوات الجوهرية التي ركزت عليها فرنسا لتحقيق سياسة الاندماج و تمرير أفكارها الى أذهان الشباب الجزائري و ذلك من أجل محاربة قيم مجتمعه الأصلية و الوقوف ضد عاداته بحيث يمهل عليها تبني مشروع الجديد و عليه كانت المدرسة من أهم المؤسسات التي استهدفت الاستعمار منذ دخوله و احتلاله البلد، و كانت للمحتلين الجزائريين و قلوبهم ويضعونهم تحت صورتهم تقبل فكرة الاستعمار و التعايش مع

1- عيادة بامية أديب - تطور الادب الاقصى الجزائري(1925/1967)ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر1982. ص 95

المستعمرين، و اعتبروها المعجزة الحقيقية التي يجب صنعها و هي أن تحل اللغة الفرنسية محل العربية بحيث يتمكن عن طريق هذا الإجراء من نشر لغتهم بين الأهالي و خصوصا إذا أقبلت فئة الأجيال الجديدة جماعات على التعلم في هذه المدارس الفرنسية [1] حيث أن "الدوق دومال" الذي أولى عناية خاصة لهذا الموضوع و جاء في تقريره الشامل الذي رفعه إلى الحكومة الفرنسية سنة 1858 عن وضعية التعليم و خلاصته بالنسبة لمستقبل المستعمرة فمن أكاذيب الفرنسيين و أطروحاتهم الفكرية الادعاء بأن الفرنسي جاء إلى الجزائر كرسول إنساني ليكون أستاذا يثقف الناس و أن هذه الرسالة لا لمكن تحقيقها إلاّ بنشر لغته و حضارته و ثقافته و تاريخه بين سكان البلاد التي استعمرها مع القضاء على لغتهم و ثقافتهم [2] و إلى هنا يكون تأثير حضارة غربية غالبية ذات فعالية كبيرة نتيجة للواقع المختلف.

- فالاستعمار الفرنسي لم يتوان لحظة في تنفيذ مخططه للقضاء على الشخصية العربية في الجزائر منذ أن احتلها عسكريا فعمل على القضاء على اللغة العربية و احلال الفرنسية محلها تمهيدا لإدماج الشعب الجزائري في الأكثرية الفرنسية و ربط مقدراته بفرنسا مباشرة فقلب التعليم رأسا على عقب بحيث لا يجيد الجزائريون و من بينهم "مولود معمري" غير التعليم الفرنسي الذي يوفر مزايا عقلية مادية وسيلة أخرى لتعليم غربي عصري فكان محور اهتمامهم تعليم الأطفال الصغار أن آبائهم من أصل فرنسي و كانوا ينعتون العرب أنهم عديمو الوفاء [3] فهنا كانت مهمة الاستعمار الفرنسي هي القضاء على الشخصية العربية و قد استنفذ الاستعمار جهدا كبيرا طوال عشرات السنين في محاولة القيام بهذه المهمة على نحو متصل ثابت وحرّم على الجزائريين بالفعل على حد تعبير الكاتب "مولود معمري"

1- اسماعيل حاجم - الصراع الحضاري في الرواية الفرنكوفونية المغاربية د ط دار الامل الجزائر 2007 . ص 06

2- اسماعيل حاجم ، المرجع نفسه . ص 06

3- نور سليمان - الادب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير ط 1 دار العلم للملايين بيروت لبنان 1981 . ص 81

أن يلجؤا إلى أي نوع من أنـواع التعبير الجــاد عن أنفسهم [1] و قد اندفع الاستعمـار في خطته تلك بزعم أن شعوب المغرب العربي عامة كغيرها من شعوب افريقيـا لا ثقافة لهـا فكرة أقرها الغرب زمنا طويلا و رغما عن ذلك ظن اللغة العربية التي حرّمت جميع الحكومات الاستعمارية عن أبناء الشعب أن يتكلموا بها، بالنسبة للشعب الجزائري لغته القومية الحقيقة فكان على الأديب الجزائري "مولود معمري" و على غيره من الأدباء أن يفرض ثقافة حتى و لو كان بلغة العدو التي يفهمها الغرب جيدا.

- و عليه نجد أن "مولود معمري" وقع كغيره من الأدباء الجزائريين ذو التعبير الفرنسي في فخر ازدواجية الشخصية إذ لا يجوز أن يشعر بالعربية و يعبر بالفرنسية .

2- الهجرة و النفي :

لقد اقتضت مصلحة فرنسا أن تفتح للفلاحين الجزائريين غداة الحرب العالمية الأولى باب الهجرة إلى الأراضي الفرنسية لإدارة عجلة مصالح السلاح و الذخيرة الحربية و التحق بهم عدد هام من الجنود المسرحين من الخدمة العسكرية ليشكلوا قاعدة الطبقة العمالية الجزائرية بفرنسا التي ما لبثت تنمو منذ ذلك الحين و تتكاثر إلى أن أصبح أفرادها يعدون بمئات الألاف ووجد هؤلاء الفلاحون في الهجرة فرصة لتحسين ظروفهم و ظروف أسرهم المعيشية و فتحوا الباب لغيرهم من أبناء جلدتهم ليلتحقوا بهم و هكذا فقد دفعت الأوضاع التي عاشها الانسان الجزائري الذي جرد من أراضيه و ممتلكاته دفعت به إلى الهجرة بحثا عن حرفة أو عمل بفرنسا، و بمرور الزمن و بعد أحداث الحرب العالمية الأولى تشكلت لدى المهاجرين الجزائريين صحوة وطنية نتيجة احتكاكهم بمختلف الأطراف الحزبية منها الحزب الشيوعي إذ سرعـان ما ظهر حزب نجم شمـال إفريقيا الذي راح يطـالب بحقوق

1- نور سليمان - الادب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير ط 1 دار العلم للملايين بيروت لبنان 1981 ص 82

الجزائريين و يشجع الأهالي على بعث أولادهم إلى المدارس الفرنسية (1) و مع ازدياد عدد الجزائريين الذين هاجرو إلى فرنسا بحثا عن عمل و طلب للعلم فقد ثار المعمرون الذين وقفوا للجزائريين بالمرصاد ، فاعترضوا على فتح باب الهجرة لهم أصلا و استطاع المعمرون أن يستصدروا قوانين تحد من هجرة الجزائريين إلى فرنسا و تضع لهم شروط تعجيزية و خصوصا من الناحية المالية فهذا يتعلق بهجرة الجزائريين عامة إلى فرنسا أما بما يتعلق بالكتاب و المثقفين فهم كان لهم نصيب من الهجرة و ذلك لأسباب تشبه الذي ذكرناها سابقا إضافة إلى التعلم و الانفتاح و الأخذ من الحضارة الغربية، و إن ربطناها "بمولود معمري" نجد أن الهجرة و النفي كان له بالغ الأثر في فكر و ثقافة و أدب "مولود معمري" فسواء اختار هو الهجرة أو فرضت عليه .

- و إلى هنا نجد أن اتصال "معمري" بالثقافة الفرنسية كان له تأثيرا فرنسيا قويا فإلى جانب المدرسة الفرنسية و الهجرة و النفي كان هناك أيضا عوامل أخرى كان لها تأثير كبير في حياة الشباب الجزائري و خصوصا "مولود معمري" و هي التجنيد الإجباري و الكتب و الصحف و المكتبات الفرنسية التي من خلالها أقر "مولود معمري" أهم الروايات التي أصبحت في مصاف الروايات العـالمية .

1- نور سليمان - الادب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير ط 1 دار العلم للملايين بيروت لبنان 1981 . ص 83

الفصل الثالث

- مضمون رواية الهضبة المنسية .
- آراء النقاد (المؤيدين و المعارضين) .

1- مضمون رواية الهضبة المنسية :

- لقد ألف "مولود معمري" أول رواية له و هي الرواية التي تحن بصدد دراستها و هي الرواية المعنوية بصدد دراستها و هي الرواية المعنوية بـ " الهضبة المنسية " la colline oubliée و قد ألفها سنة 1952، و التي عدها " جون ديغو" من أفضل أعماله حيث تدور حيثيات وقائعها حول بعض التقاليد البالية التي وقفت في وجه زواج شابين متحابين [1]، و يرفض أسريتيهما ذلك الحب فأصبح محل نقد في مجتمعهم. [2] لأنهما يخرما تقاليد المجتمع، إذ يصور" معمري" فيها الصراع القائم بين تقاليد المجتمع العتيقة في بعض الأحيان، ورغبة البعض في التحرر منها، فقد أثارت هذه الرواية عدة انتقادات خاصة في الصحف فهي قصة تروي ضياع الفرد أمام صعاب الحياة وضياع الشعب و آماله أمام الحرمان نموذجا مصغرا يمثل معظم القرى و الأرياف الجزائرية في تلك الحقبة و الواقع أن" الضبة المنسية" أو " الربوة المنسية" كانت بعيدة فعل عن الانشغالات السياسية للجزائريين ولم تكن بعيدة أبدا عن الأوضاع الاجتماعية المتردية لحياة الأغلبية من الشعب الجزائري و التي أفرزتها الأوضاع السياسية القاسية و الحاجة الشديدة التي ازدادت سواء بفعل العرب، حتى أصبح هم الناس الاول هو الحصول على ما يسد الرمق و بحفظ النفس و عليه فإن أحداث هذه الرواية التي في قرية قبائلية خلال الحرب العالمية الثانية (1942- 1944) وقد انقسم شباب هذه القرية إلى الفريقين: فريقا تعزاست (المتورطون) و فريق الوالي المكون من عناصر فقيرة و لا مبالية و مع ذلك فإن "مقران" و صديقه "ميناش" يشاركان أساسيات العناء و الرقص التي تنظمها جماعة الوالي و لكن الحرب توقف مجرى هذه الحياة الهادئة و يرحل الشابان ليتعرفوا على الحرب و على الغرب و هناك قصة حب تشكل محور الرواية : "ميناش" مغرم بداودة زوجة "آكلي" و "مقران"

1- بشير بلاح ، تاريخ الجزائر المعاصر (1830 - 1989) ج 2 ، د ط دار المعرفة 2006 . ص 15

2- أم الخير جبور الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ط 1 دار ميم للنشر ص 339.

مغرم بـ "عزي" إلاّ أن عقم هذه الأخيرة بعد زواجهما جعل "مقران" ينعزل شيئا فشيئا عن المجتمع و تحاول زوجته أن تجد علاجا في التبرك بالأضرحة و الاستعانة بالسحر و لكن الموت يختطف "مقران" في اللحظة التي تعلن فيها زوجته عن تحرك الجنين داخل بطنها و يبقى "ميناش" وحيدا فيقرر مغادرة القرية. و هنا يركز "مولود معمري" على ابراز الصراع بين الرجال و النساء في علاقتهم العاطفية يشكلها المشروع و المحرم على السواء مع التقاليد المتشددة التي لم تكن لتسمح بالقيام بتلك العلاقات في حدود ضيقة ن و ضمن الشرعية الزوجية لا غير و حتى في هذه الحالة الأخيرة، لم يكن للعواطف مكان إلا بما حققه الزواج من الغرض النفي المباشر منه، أي إنجاب الأطفال من أجل الحفاظ على النسب العائلي، و المساعدة في الوقت نفسه في توفير رغيف العيش للأسرة، فإذا لم يحقق هذا الغرض فإن التقاليد ممثلة هنا في الأهل و الأقارب، تتدخل لإنهاء هذه العلاقة وهذه هي الإشكالية التي يطرحها المؤلف في روايته، و يجعل منها الأساس التي تقوم عليه، حيث أن معمري يروي لنا في روايته، الذين كان يعيشان حياة زوجية سعيدة ثم تدخل التقاليد ممثلة في الأصل و الأقارب لتدوس بقسوة على عواطفها و تفرق بينهما. (1)

- وهنا تبدأ مشكلة الزوجين الشابين، بعد أن شر زواجهما مدة زمنية كافية عادة لأن تحبل فيها المرأة، فأصبح وضعها محرجا مع الأمل و الأقارب، بحكم العرف و التقاليد الموروثة، لم يكونوا قادرين على أن يتصوروا قيام حياة زوجية و استمرارها بدون اطفال فما كان على الزوجين سوى محاولة ايجاد حل لمشكلتهما إما بالسعي لإنجاب الأطفال لكن هناك حل ثالثا معمول به أيضا في مثل هذا الوسط الريفي و دون اللجوء أو حدوث الطلاق و حفاظا على حبهما، نزل "مقران" و "عزي" عند رغبة الأمل و الأقارب أخصمنها نفسيهما لعمليات

1- أم الخير جبور الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ط 1 دار ميم للنشر . ص 339

علاجية تقليدية غريبة و مرهفة فكانت هذه العمليات علاجية تقليدية غريبة و مرهفة فكانت هذه العمليات غير مجدية و لاسيما بالنسبة للمرأة، فهي التي تتحمل العبء الأكبر هنا و لهذا السبب قد يلجأ الرجل إلى الزواج من الثانية و الثالثة و أكثر ليكتشف هذا الأخير أنه هو العقيم و ليس لها من الله على ما يمكن أن تكون قد ارتكبته من ذنوب عظيمة و هذا ما كانت "أم مقران" تردده صباحا و مساءا على مسمع كنتها، فتزيد بذلك من آلامها النفسية، و على هذا الأساس راحت "عزي" تتشبث بأي بصيص أمل في سبيل انقاد حياتها الزوجية مع "مقران" و تجرب كل الوسائل التقليدية ضد العقم ، حيث راحت تمارس طقوسا غريبة وذلك عمل بوصفات العجائز لتلك القرية و من بين تلك الوصفات الغريبة أن تحمل سلة على ظهرها تكون كبيرة و تطوف على الأبواب لتطلب صدقة من كل الأمهات، لامرأة لم يشأ الله أن يمنحها فضله، عسى أن تنتقل "لعزي" واحدة من تلك الصدقات الرمزية خصوص من تصدقت عليها. (1)

- و ضمن هذا السعي نفسه، يشد الزوجان الرجال إلى ضريح أحد الأولياء، ليقترب إلى الساكن الضريح و توزيع الهبات على خدم الضريح و الصدقات على الفقراء و المساكين فنفق " عزي " مرة أخرى موقفا دليلا أمام ضريح الولي لتعترف له بذنوبها على طريقة الاعتراف الكاثوليكي تقريبا . و تتوجه إليه في تضرع وبأس قائلة : يا سيدي عبد الرحمن إنك تخلت عني، عارية أمام ارادة الله أغني، امنحني ولدا وسأعطيه اسمك عبد الرحمان. (2)

1- أمين الزاوي: صورة المثقف في الرواية المغاربية ، المفهوم و الممارسة ، ط دار راجعي للنشر و التوزيع 2009 ص 127

2- mammri mouloud : « la colline oubliée » ed, plan paris 1952,réed p 92

- و انتظرنا "عزي" أثار بركة عبد الرحمان و لكن مرة الأيام ، ثم الأسابيع ثم الشهور الشتاء كلها و عندما حل الربيع لم يكن هناك أي شيء قد تعير بالنسبة اليها [1]، و أما سلسلة المحاولات المتعددة و الفشل الواثق الواقف بالمرصاد في كل مرة فلم تبقى هنا سوى محاولة أخيرة "لغزي" لإنقاذ زواجها المتمثلة في العجوز "تاغني" قابلة القرية إلى حضرة "سيدي عمار" الصوفية التي أشارت بها على كلا الزوجين كآخر محاولة فلم لهما الخيار إلاّ بالامتثال بمشورة العجوز و فعلا تضرعت عزي مرة أخرى لامتحان عسير من الناحية النفسية وسط ممارسات همجية و لكنها كانت سلبية كنظرياتها.

- و هنا تكمن المحاولات الفاشلة التي قام بها الزوجان لأنها لم تكن علاجا للعقم بل كانت مجرد معتقدات خرافية و شعوذة فما كان مصيرها بعد كل هذا العناء و الجهد أن يدفعا ثمن ذلك الجهل و التخلف و أن يقبل بمصيرهما المحتوم.

- و لم تتم إجراءات الطلاق على يد الزوج، كما يقتضي الشرع ، و لا بحضوره حيث ناب عنه والده في مقام امام على ارادة الأدب الذي يستمد سيطرته على الأبناء من سطوة التقاليد و الاعراف، و هي سيطرة مباشرة و كاملة في هذا المجتمع الأبوي.

- و الحقيقة أن مقران البطل كان رافضا للطلاق ولكن رفضه لم يتجاوز حدود التغيير عن ذلك في دفتر مذكراته الشخصية ، حيث يظل الرفض مجرد حبر على ورق ، و تنفيس عن النفس، لا يتعدى إلى الرفض الفعلي وقد وجد "مقران" في استدعاءه للخدمة من مواجهة و بريحه إلى حد ما من تأنيب الضمير نحو زوجته التي عجز في فعل أي شيء من أجلها. [2]

1- mammri mouloud : « la colline oubliée » ed, plan paris 1952,réed p 113

2- مولود معمري المصدر نفسه . ص113

- أراء النقاد في رواية الهضبة المنسية :

- عند نشر مولود "معمري" لروايته "الهضبة المنسية": واجه خصوما حادة بين أوساط المثقفين الجزائريين باللغة الفرنسية وذلك لما حملته هذه الاخيرة من مضمون جديد في طرف المسائل اجتماعية التي لم يتعود الروائيون في طرحها من قبل و لهذا تعرضت رواية الهضبة المنسية إلى النقد للعادات و التقاليد المتشددة في المجتمع الجزائري القبائلي والتحدث عن علاقات عاطفية غير شرعية، و بهذا تعرض مولود معمري للانتقادات أيضا من قبل الحركة الوطنية المستهجنة لعملة الأدبي اذ اعتبر "معمري" مجرد كاتب فلكلوريا شأنه شأن الأديب الجزائري "مالك راوي" ويرى أمين زاوي أن مستقلة الحس و الكتابة الانثروغرافية في الرواية المقاربة، من تأثير غربي أي استجابة لحضور الآخر في ذهم المثقف المبدع، بل إنها كتابة له كي يتفرج علينا و يتمتع بعالمنا[1]،وكما يقول الكبير الخطيبي: إن الرواية الانثروغرافية و الفلكلورية "_ في المغرب ليست ظاهرة معزولة ، بل امتداد لتقليد فرنسي في إفريقيا انتج أدبا عزيزا ، وهذا نمط من الرواية يطابق على الصعيد السياسي فترة توسيع الامبريالية و على الصعيد العلمي ازدهار العلوم الاجتماعية و خاصة الأنثروبولوجيا باعتبارها دراسة لثقافات العالم المستعمر و المجتمعات العتيقة و هذا ما جعل رواية الهضبة المنسية محل نقد من قبل كثير من دارسي الأدب و خاصة محاب الحركة الوطنية الذين عمدوا على تجريد " معمري " من وضيفته و ما زاد الطين بلة هو أن المجلات الفرنسية قد أحاطت الفرنسية قد أحاطت الرواية بهالة واسعة من الإعجاب فهي كعسل فني ممتازة و بناءه متماسك واسلوبها جميل، تمتزج بروح شاعرية ساحرة وخاصة في رسم الطبيعة الجميلة في جبل و هو مسرح الرواية.[2]

---

(1) - أحمد منور، ملامح أدبية (دراسات في الرواية الجزائرية) بط وزارة الثقافة في إطار الصندوق الوطني للترقية و الفنون و الآداب . ص 35

(2) أحمد منور ، المرجع نفسه . ص 37

- لكن "مولود معمري" لم يلتزم الصمت أمام ذلك الاهتمام الذي جرده من وطنيته، فرد عليه و شرح موقفه و أعرب عن حبه للجزائر .

- و يؤكد كلا من الدكتور ابراهيم الكيلاني: حيث قال: أن معمري لفنان كبير أثار من خلال روايته مشاكل حساسة في المجتمع الجزائري واجهها أبطال الرواية القبائليون كنماذج للإنسان الجزائري لأن حوادث الرواية لا تتجاوز منطقة القبائل كجزء من كل وطن بأكمله و أبطالها يتجاوزون حدود المكان ليكون الصورة العيرة كما يعانيه انسان الجزائر على يد الاستعمار. [1]

- و من هنا نستنتج أن رواية الهضبة المنسية قد تباينت بين مرحب مؤيد كما جاءت به من أفكار وبين رافض منتقد لما نحو به من تشويه للمجتمع الجزائري ضمن هذا يسعنا معرفة أن العمل الأدبي العظيم لابد أن توجه له سهام التهم و النقد سواء أحسن أو أساء.

- و من الآراء المستحسنة لهذا العمل الأدبي التي اتفق عليها مجموعة الأدباء و الدارسين النقاد دول ذروة القيمة الفنية التي بلغتها اهانة الرواية يتقدمها ما جاء على لسان "طه حسين" في كتابه "نقد و اصلاح" حيث نجده يقول عن رواية الهضبة المنسية مشيدا بها: "ما أشد اعجابي بهذا الكتاب الذي أنكر من أمره شيئا إلا أنه لم يكتب بالعربية، و كان خليفا أن يكتب بها ... ولكن هذا عيب لا يؤاخذ به الكاتب، و إنما يؤاخذ الاستعمار و ما أكثر ما يؤاخذ به الاستعمار من العيوب و الذنوب...". [2]

- أما عن رأي سعاد محمد خضر لا يختلف كثيرا عنه إذ نجد ما تقول "عن مستوى " "معمري" الفني عموما "إن مستوى "معمري" إنتاجه يفوقان "ديب" من حيث الموقف من

1- ابراهيم الكيلاني، أدباء من الجزائر، ط، دار المعارف مصر، القاهرة ديسمبر 1958 . ص 73

2- ابراهيم الكيلاني المرجع نفسه . ص 73

الحقيقة الفنية و أسلوب معمري أسلوب سلس و الاختيار الموقف يظهر لذا الكاتب في اختياره للكلمة و الصورة التي بوضوح عن النتائج التي اختارها الكاتب و يشعر القارئ بأن الكاتب "معمري" مسيطر تمام السيطرة على اللغة التي اختارها ليعبر عن نتاجه الفني.[1]

- كما نضيف رأي الدكتور "عبد الخطيبي" الذي يقول "أن معمري قد أدخل الرواية النفسانية إلى الأدب المغربي المعرب بالفرنسية على أن هذا النوع من الرواية هو الذي يعبر عن مجموعة من المشاعر و الأهواء الخفية ذات الدلالة.

2- الأثر الاستعماري الفرنسي في رواية الهضبة المنسية "لمعمري" :

- لتوضيح أثر الاستعمار الفرنسي على نفسية "معمري" وفكره، سنقوم باستقراء محطات رواية "الهضبة المنسية" التي كانت أحداثها تدور في قرية مع شخصيات الرواية حيث نشأت في حلقة مفرغة من الملل و الفراغ الفكري الناشئ الاستعمار الفرنسي و تلك العدمية المطبقة التي توشحت بها أفكار الجزائريين سكان الأرياف و القرى ، و كان من الممكن أن تجري حياة القرية في مقفل بعيد عن الصخب و أصداء المدينة لولا تلك المرحلة الضيقة التي عاشتها من جراء العرب أهل القرية، و هكذا فقد أثرت الحرب العالمية في "مولود معمري" تأثيرا شديدا جعله يصورها في روايته و يبين مدى قساوتها و انعكاسها على نفسيات الشخصيات.

- إذن فقد أفاد المؤلف من تجربته الذاتية في الحرب العالمية الثابتة عندما صحب الجيش الفرنسي محاربا في فرنسا و ألمانيا و ايطاليا، إذ أن مآسي الحرب قد أبقت في ذهنه و قلبه و نفسه و فكره صورا انعكست آثارها على روايته "الهضبة المنسية" فشغلت هذه الرواية ناحية مؤثرة منها فحوادث هذه الرواية تجري تحت تأثير حقيقة طارئة و متحركة و هي الحرب العالمية الثانية و انعكاساتها على الشعوب المستعمرة في أفريقيا الشمالية بصفة عامة

1- سعاد محمد خضر، المرجع نفسه . ص 184

و على الجزائريين بصفة خاصة أولئك أصحاب الإحساس المرهف، و الذين إكتووا بنارها و اكتشفوا زيف المبادئ الغربية فظهرت و توضحت أمام "مولود معمري" بالذات همجية الاستعمار ما أثر عليه فأثبر يسجل ما رأته عينه و سمعته أذنه ، و ما أحسته جوارحه، و ان كان هذا لا يبدوا جليا في رواياته الا المتصفح متمعن لما تحمله السطور و الكلمات .

- هذا هو الاستعمار بهمجيته و استبداده و تعسفه في نظر "معمري" هو الذي يحتقر البشر كان لابد "لمعمري" أن يصوره في أبشع صوره لأن لا حقيقة له إلا تلك التي وردت في رواية معمري و التي إبداع في اظهارها و اظهارها و اظهار انعكاس الحرب و آثارها على فكرة أولا و على نفسه ثانيا من خلال ما تعرض له سكان قرية "تاسكا" من انعدام الحياة و صخبها. (1)

- و هكذا يكون "معمري" قد صور لنا و معاناة ذلك المجتمع البربري الذي مزقة الاستعمار وحطم كل ما فيه من جمال و قداسة، ثم صور الحرب التي تفرق بين الأحباب و تنشر الخراب الاقتصادي و ترهن الجماهير الكادحة و تفرقها في البؤس و العوز تلك الأسباب التي تشوه جمال العواطف النبيلة و تعمق المآسي و الخلافات ، و بذلك الأسلوب الرصين و الهادئ و تلك الصور الرائعة التي تعكس ذلك الحزن الدنين و الأثر العميق يصور لنا "معمري" مشاعر الشباب الذي تضطره مشاكل الحياة و الحرب التي ترك الركن الدانئ الحبيب و الأرض و هؤلاء الأحباب لينخرط في الجيش و يواجه حياة الجندي "الشاقة" .

- و هو الذي يواجه الموت في كل و يجازي الخطرة في كل نقاش إذ يقول أحد ابطال الرواية:" ما زلنا أذكر ذلك اليوم الذي تجمعنا فيه نحتفل بعيد الأضحى حيث قرر الشبع أن يكون ذلك اليوم قبل شهر من مقدرتنا القرية و هكذا يكون مولود معمري في روايته الهضبة المنسية قام بتصوير الوضع في الجزائر في الاحتلال الفرنسي كما عبر فيما سبق في الرواية

1- ابراهيم الكيلاني، أدباء من الجزائر، ط، دار المعارف مصر، القاهرة ديسمبر 1958 . ص 74

عن مآسي الشعب و حزنه وبؤسه، إنها فترة اليأس و القنوط بدون أية إمكانية للعثور على حل لأن الاستعمار الذي نبذه "معمري" و انبرى ليسجل جرائمه المتفرقة في حق الجزائريين لتبقى شاهدة على فضاعته و استبداده.

- و رغم تأثير سكان " تاسكا " بمنهجية الاستعمار، إلا أننا لم نلتمس لدى أبطال روايته الهضبة المنسية أية بوادر لثورة نفسية أو فعلية على الأوضاع المزرية التي أفرزتها الحرب العالمية و الاستعمار و لا تواجه من خلالها سوى الألم العميق الدفين الصامت. [1]

1- ابراهيم الكيلاني، أدباء من الجزائر، ط، دار المعارف مصر، القاهرة ديسمبر 1958 . ص 75

خـــاتمـــة

- لقد ساهم التأثير الفرنسي في بلورة تجربة ادبية ناضجة فمن خلالها تلقى معمري هذه الثقافة الفرنسية و عمل بها كممارسة لا تأتي إلاّ بالتأثير الواعي الذي يمحو الأصالة و التاريخ كما كان من شأنه خلق نوع من التقارب بين الثقافة الجزائرية و نظيرتها الفرنسية مما ساهم هذا على التفاعل الأدبي والاحتكاك الثقافي في سبيل تحقيق طموحات أدبية تكون في واجهة العالمية و عليه توصلنا الى بعض النتائج و ذلك بفعل الاشكالي لأن التي أفرزها مسيرة البحث و تمثلت كالتالي :

- أولا تعرفنا في الفصل الأول الى نقطة أساسية هي التأثير و التأثر قاعدة من قواعد الأدب المقارن فكانت التأثيرات الأدبية تحتل مكانا بين الأعمال الأدبية و نصوصها تلك التي عالجت الادب الجزائري الحديث اضافة إلى التأثيرات الفرنسية في الكتاب الجزائريين التي من خلالهم تم معرفة الانتاج الأدبي المكتوب بالفرنسية رغم تأثره بالأدب الفرنسي فقد ساهم في تطور حركات التجديد في الأدب الجزائري .

- لم يكن من المهم الكتابة بلغة الآخر سواء كان ذلك رغبة أو فرضت عليه أنه يوصل من خلالها واقعة و واقع وطنه لان تعلم لغة أجنبية و التأثر بها بثقافتها و حتى الكتابة لها ليس المجرد تغذية لثقافة العربية و اغناء رصيدها اللغوي و المعرفي و تطويرها .

- أما الفصل الثاني فتناولنا حياة الكاتب و الروائي " مولود معمري " من خلال أعماله الادبية و اللغوية و الانتروبولوجية فتعرضت هي الاخرى بين صراع الثقافة الجزائرية و الاصلية و الثقافة الفرنسية الداخلية فاعتبر معمري اللغة الفرنسية لغة أصلية له لأنها ثروة أضيفت الى ثقافته الجزائرية و عليه فأن مولود معمري كغيره من الادباء عاني من الاستبعاد و عاش في محنة بين لغته وواقعه فمجمل أعماله من النصوص الادبية دعى فيها للدفاع عن الذات الجزائرية .

ـ أما الفصل الثالث فقد تعرفنا فيه لدراسة رواية " مولود معمري " " الهضبة المنسية " و فيها أبرزنا أهم أحداثها في ملخص واضح إضافة الى ابرز أهم اراء النقاد حولها و بهذا تكون هذه أهم محطات البحث الذي قمنا به .

قائمة المصادر والمراجع

1- أبو قاسم سعد الله دراسات في الادب الجزائري الحديث ط 2، دار الادب الجزائري 1977.

2- أبو قاسم سعد الله افكار جامحة، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1988 .

3- أبو قاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ج 6 ، 1830 / 1954 ، ط 1 دار الغرب الاسلامي بيروت 1998 .

4- أبو قاسم سعد الله - الحركة الوطنية الجزائرية ط 1 دار الادب بيروت 1969 .

5- ابراهيم الكيل في ادباء من الجزائر ، د ط، دار المعرفة القاهرة مصر ديسمبر 1958 .

6- أحمد درويش نظرية الادب المقارن و تجلياتها ، ط ، ديوان المطبوعات الجزائر 2007 .

7- أحمد منور أرملة الهوية في رواية الجزائرية باللغة الفرنسية دراسة أدبية دار الساحل للكتاب تعاونية 17 اكتوبر 61 عمي مصطفى الرغاية الجزائر .

8- أحمد منور الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته و تطوره د ط ديوان المطبوعات الجزائرية 2007 .

9- أحمد المنور ملاج أدبية (دراسات في الرواية الجزائرية) ب ط وزارة في إطار الصندوق الوطني للترفيه و الأدب .

10- أم الخير جبور الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ط 1 دار ميم للنشر .

11- أمين الزاوي صور المثقف في رواية المغاربية المفهوم و الممارسة د ط دار النشر راجعي الجزائر 2009 .

12- أنيسة بركات دار الأدب النضال في الجزائر من سنة 1945 حتى الاستقلال ب ط المؤسسة الوطنية للكتاب .

13 – اسماعيل حاجم الصراع الحضري في الرواية الفرنكفونية المغاربية د ط دار الامل الجزائر 2007 .

14 - بشير بلاح تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989 ح 2 د ط دار المعرفة 2006 .

15 – محمد غنيمي هلال دار الادب المقارن في توجيه دراسات الادب العربي المعاصر د ط نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع د ث القاهرة مصر .

16- محمد غنيمي هلال الأدب المقارن ط 9 نهظة مصر للطباعة و النشر و التوزيع القاهرة اكتوبر 2008 .

17- محمد زكي العثماوي - دراسات في النقد المسرحي و الأدب المقارن د ط النهضة العربية للطباعة و النشر - بيروت لبنان 1983 .

18 - محمود القاسم الأدب العربي المكتوب الفرنسي د ط الهيئة المصرية للكتاب بالقاهرة .

19- معاد محمد خضر الادب الجزائري المعاصر د ط دار المنشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت 1967.

22- عبد الله الكريبي تطور النثر الجزائري الحديث 1830 - 1970 ط الدار البيضاء للكتاب ليبيا تونس 1978 .

23- عبد الله خليفة الركيبي القصة الجزائرية القصيرة دراسة ط 3 الدار العربية للكتاب ليبيا تونس 1977 .

24- عبد الله مرتاض فنون النثر الادبي الجزائر 1937 - 1954 ط الشركة الوطنية للنشر و التوزيع د ت الجزائر .

25- علي مصايف النثر الجزائري الحديث د ط المؤسسة ت وطنية للكتاب الجزائر 1983 .

26- علي مصايف فضول في النقد الادبي الجزائر الحديث د ط شركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1972 .

- المصادر و المراجع المترجمة الى العربية :

27 - بول فان ثبغم - الادب المقارن - ترسامي مصباح الحسامي د ط منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت لبنان د ث .

28- عيادة بامية أديب - تطور الادب الاقصى الجزائري (1967/1925) ثر ز محمد صقر د ط ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982 .

- المصادر و المراجع الاجنبية :

29- albert memie : introduction al « antologie d'ecrivains français du megheb M presence africains M paris 1969

30 albert conus noces a tipaza « in » hoces essais et gallinard M paris 1950

- المجلات و الدوريات :

31- أمين الزاوي مقال كنت اخر كتاب جزائري تحدث عن مولود معمري جريدة الشروق 24 فبراير 2010 .

32- حنفي من عيسى الرواية الجزائرية المعاصرة مجلة الثقافة وزارة الاعلام و الثقافة الجزائر السنة 2 العدد 8 - 9 ماي جويلية 1972 .

- الرسائل الجامعية العربية :

33- أمين الزاوي الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية رسالة ماجستير كلية الأدب الجامعي دمشق 1984 .

34- توازن عبد القادر الجزائري في أدب " ألبير كامو " رسالة ماجستير جامعة بغداد أفريل 1985 .

- المعاجم و الموسوعات :

35- آيه منظور لسان العرب مجلد 1 دار صادر للطباعة و النشر ط 4 بيروت لبنان 2005 .

36- مجموعة من الباحثين موسوعة أعلام الجزائر أثناء الثورة منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954 الجزائر 2007 .

- مواقع الانترنت :

37- www.echoroukonline.com

38- www.djazair.i,fo

- الأنترنت منتديات ستار تاميز / أرشيف أدباء و شعراء و مطبوعات سا 2 زوالا و 19 دقيقة يوم 22/03/2017 .

فهرس

فهرس البحث : الصفحة :

فهرس البحث : الصفحة :